هذا كتاب ديوان الصبابة للأديب
الفاضل شهاب الدين احمد بن
ابي حجلة المغربي رحمة الله
تعالى عليه

ترجمة المؤلف من كتابه مفناطيس الدر النفيس باختصار

هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولداً الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن ابي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه * ونور ضريحه * وكنى جده بذلك لصلاح حاله * وتعلق الحجل والوحوش بأذياله * وزاوية جده بالمغرب مشهورة * واحاديث بركته مأثورة * يؤخذ منها التراب لطلب الدواء * والتماس الشفاء * وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول * بزيارة الرسول * صلى الله عليه وسلم * ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال * وشاهد بمصر بعد رؤية ابي الهول الأهوال فصنف كتاب غرائب العجائب * وعجائب الغرائب * وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائباً ٧ تغني النديم عن المدامة والطرب ٧
يهتز سامعها لطيب حديثها ٧ الا حسود ليس يعجبه العجب ٦٧

وله اكثر من ثمانين مصنفاً في الحديث والفقه والنحو والأدب وله شعر ونثر سيأتي شئ منه في اثناء هذا الكتاب

مدونة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com

داخلية رقم ٣١٧٠٣
فن نمبر
الف ٢٩
نمبر
٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل (للعاشقين باحكام الغرام رضا) وحبب اليهم الموت في حب من يهوونه (فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا) فكم فيهم من عاشق * ومحب صادق * راى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيى نيله فقضا * احمده حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا في حجاز او شاميا في نوى شعر طورا يمانا اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * شهادة من اصبح موتر لبعده اقرب من حبل الوريد * وقال العاذله لقد علمت ما لنا في بنانك من حق وانك لتعلم ما نريد * ولو ان ما بي من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم * واشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من اخلص في موالاته * وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محجوبه بحاتم ربه وبراثه * صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين يحبهم ويحبونه * ويقفون عند اوامره ولا يتعدونه * ماذر شارق * وهام عاشق * اما بعد فان كتابنا هذا كما قيل * كتاب حوى اخبار من قتل الهوى *

وصار

مدونة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com

وسار بهم فى الحب فى كل مذهب * مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل
تشبب فيه بالرباب وزينب * فهم ماهر * تعرفهم بسيماهم * قد تركهم الهوى
كهشيم المحتظر * واصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر * فهم ما بين قتيل وشهيد * وشقى وسعيد * على اختلاف طبقاتهم
واشكالهم * وتباين مراتبهم واحوالهم * وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة
الثمر * وتمسى به صفحاته فى كل ناحية من وجهها قمر * فاذا نظرت الى الوجود
بأسره * شاهدت كل الكائنات ملاحا * على ان جماعة من العصريين
غلبوا من تقدم بالتأليف فى هذا الباب * ولم يفرق غالبهم فى التشبيب
بين زينب والرباب * وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا *
فوضع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور * وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب
محمود مشكور * ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام * وانشد فى تصديق
هذه الدعوى اذا قالت حذام * مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى حجلته
يخجل * وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل *
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل * اخر
فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال * فان قلت
الفضل للمتقدم * وهل غادر الشعراء من متردم * قلت نعم فى الجمع معنى ليس
فى الغب * واحسن ما فى الطاووس الذنب * فدع كل صوت بعد صوتى فانى
انا الصائح المحكى والاخر الصدا * فكم ترك الاول للاخر * ولا اعتبار بقول الشاعر

١٨ نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول ١٨
١٧ كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل ١٧

فقد سقط فى يديه * وقيل فى الرد عليه ، ، ،

١٧ اخر يأخر من كلفت بحبه * لا خير فى حب الحبيب الاول ١٧
٧ اشك فى ان النبى محمدا * سيد البرية وهو اخر مرسل ٧

وقد يك الجن الحمصى يرد على حبيب قوله المتقدم ، ، ،

٧ كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الاول ٧

* مالي احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأنم يوهل *
فقالت حبيبة حين بلغها قول ديك الجن المذكور
* كذب الذين تخرصوا في قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل *
* افطيب في الطعم ما قد ذقته * من ما كل او طعم ما لم يوكل *
فقالت ديك الجن ايضا حين بلغه قول حبيبة هذا
* ارغب عن الحب القديم الأول * وعليك بالمستأنف المستقبل *
* نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد او كوصل مقبل *
وقالت ابو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف * وبقوله يجب الاعتراف
لأنه احسن في المقال * حيث قال * زادوا على المعنى فكل محسن
* والحق فيه مقالة لم تجهل * الحب للمحبوب ساعة وصله *
ما الحب فيه لأخر ولأول * على انني لم اجد ما في منازل الأحباب من ذكر
حبيب ومنزل * ولا تحملت على مصنفه فوا عجبا من قلبي المتحمل * ولكن
قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب * وان للناس فيما يعشقون
مذاهب * ومعلوم ان الجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون *
ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته منذ نجم * وبيوته من بحورها في لجج
لا ابيح ما فيه من منازل الأحباب لساكن * ولا امكن عاشقا من المرور
بتلك الأماكن * اغارا ذا انست في الخائنة * حذارا وخوفا ان تكون لجنة
* حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري ادام الله نشر اعلامه
* ولا اخلا كنانة من سهامه * ما نفذت مراسيم سهام المقل * وتتنح
قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل * فبادرت الى تجهيزه *
وسبك ابريزه * حسب المرسوم الشريف * من غير تسويف ولا تكليف
* ولم ابح زهر مكنون لغير حضرته الشريفة من الانام * لأنه كما
يقال كل ما يصلح للمولى على العبد حرام * لا جرم انه جاء بنظم السعيد
نزهة للنظير * وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر
فهو للسلطان بستان * وللعاشق بسلوان * وللمحب الصادق * حبيب

موافق * وللمجور بجوه * وللنديم قهوه * وللناسي تذكره * وللأعمى بصيرة
* وللشاعر المجيد * بيتا لقصيد * وللأديب الماهر * مثل سائر * وللمحدث
قصص * وللحاسد غصص * وللفقيه تنبيه * وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه نوادره ... ويحلوا له عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة ... حبيب ملم او نديم يسامره
وفي فيه نظم ان تضوع نشره ... ففي طيبه حلو الكلام ونادره
وفي فيه منثور غدا في مقامه ... وعرف سناه مشرق الروض عاطره
وفي فيه من سحر البيان رسائل ... اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
وفي فيه اسرار الحروف لأنه ... ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره ... خدودي اذا ما خط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هديه ... فدمعي حبري والسويداء محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا ... فباشر قتلي من سباني ناظره
فلا الهوى مات مثلي عاشق ... ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع ... تطارحني فيه الحديث جاذره
انزهه عن وصف خدع عنيزة ... ومنزل قفر سرين عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها ... جرير كعبدا وثقفه جرائره
يشيب بها فود الوليد لأنه ... يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست اري يوما بدارة جلجل ... سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسيب ذكري حبيب ومنزل ... فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره
اجاورني في سفح المقطم جيرة ... فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من اهواه طرفي ان غفا ... اتهجره بالله ام انت زائره
وحقك لو سايرتني بعض ليلة ... لسايرت صبا مات في الحب سائره
يمثلك الشوق الشديد لطرفه ... فيجري به كالحاجري محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق ... فيطرق اجلالا كأنك حاضره
وفي من بحر الفضل ريح قوامها ... اذا بات في الروض النضير ناظره

اذا اقبلت في الحلي والطيب قيل لي ... حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهي غضبى التفاتة ... ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها ... وقد حميت يوما على هو اجره
تحصنت في حصن الهوى من عواذلي ... وبات لقلبي جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلي ... لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما ... يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
اللغصن خد كالشقيق اذا بدا ... وشعر كجنح الليل سود غدائره
لأن طاب ذلي في هواها فانني ... وحقك ممن عزني في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده ... كما اهتز غصن طار في الحب طائره
مليك تريه قبل ما هو كائن ... بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا ... جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صاب كالبدر في الندى ... فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك اري من حوله كل عالم ... يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة ... بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر باسه ... لأن ملوك الأرض طرا تحاذره
ترقوعهم شهب السما وبروقه ... وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقتزع اشكال الخيل اجتماعهم ... فاي ضمير لم يدس فيه ضامره
واي كماة لم يرعهم نزاله ... واي مكان ما علته هنابره
واي قصيد بحرها لم يرق له ... وغائص فكري ناظم الدر ناثره
وفي فيه من غر القصائد خمسة ... وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما ... تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص لو مطرب ... بتشبيبه في الحي يطرب زامره
ولو لم يكن مثل السكردان ماغدا ... بحضرته يوما تطيب حواضره

نعم الفتى باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح * وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل عمل الروح للمروح *

* اهيم بمن هام الحبيب بحبّه * الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل *
وسلكت فى تأليفه الأختصار * والأقتصار على النوادر القصار * لأنّ
كان يقال لوضيع وضعان وضع له افتخار * ووضع له نجار * وقال يحيى ابن
خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون * واحفظوا احسن ما تكتبون *
وحدثوا بأحسن ما تحفظون * وخذوا من كلّ شئ طرفا فانّه من جهل شيئا
عاداه وسمّيته ديوان الصّبابة ليصبح الواقف عليه موله * ويعلم انّه ان
لم اكن انا للصّبابة منها * ما يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصّبابة الا
من يعانيها * اى والله * قلّما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون
ورتبته على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة اما المقدمة ففى ذكر حدّ العشق
واشتقاقه وما قيل فى وسمه ورسمه واسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه
ومدحه وذمه وذكر اختلاف النّاس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو
ذلك واما الأبواب فالباب الأوّل فى ذكر الحسن والجمال * وما قيل
فيهما من تفصيل واجمال * والباب الثانى فى ذكر المحبّين والظرفا *
من الملوك والخلفا * والباب الثالث فى ذكر من عشق على السّماع * وقع
من المزوّج الى الحبيب فى نزاع * والباب الرّابع فى ذكر من نظر اوّل نظره
* فاحترق من خدّ الحبيب بجمره * والباب الخامس فى ذكر تغيّر الألوان
* عند العيان * من صفرة ووجل * وحمرة وخجل * وما فى معنى ذلك من عقد
اللّسان * وسحر البيان * والباب السّادس فى ذكر الغيره * وما فيها من
الحيره * وقرع سنّ * ديك الجنّ * والباب السّابع فى ذكر افشاء السّر
والكتمان * عن ابناء الزّمان * والباب الثامن فى ذكر مغالطة الحبيب
واستعطافه * وتلاوّنه فى غيظه وانحرافه * والباب التّاسع فى ذكر الرّسل
والرّسائل * والتّلطف فى الوسائل * والباب العاشر فى ذكر
الأحتيال * على طيف الخيال * وغير ذلك ممّا قيل فيه * على اختلاف
معانيه * والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله * وبرخضا
شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر

قلة عقل العذول * وما عنده من كثرة الفضول * والباب الثالث عشر في ذكر
الأشاره * الى الوصل والزياره * والباب الرابع عشر في ذكر الرقيب والنمام
* والواشي الكثير الكلام * والباب الخامس عشر في ذكر العتاب * عند
اجتماع الأحباب * وما في معنى ذلك من الرضى * والعفو عما مضى * والباب
السادس عشر في ذكر اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين
* والباب السابع عشر في ذكر دواعي الجوى * وما يقاسيه اهل الهوى
والباب الثامن عشر في ذكر تعنت المعشوق * على الصب المشوق * وغير ذلك
من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * والباب التاسع عشر
في ذكر الدعاء على المحبوب * وما فيه من الفقه المطلوب * والباب العشرون
في ذكر الخضوع * وانسكاب الدموع * والباب الحادي والعشرون في ذكر
الوعد والأماني * وما فيهما من راحة العاني * والباب الثاني والعشرون
في ذكر الرضا من المحبوب * بأيسر مطلوب * والباب الثالث والعشرون في
ذكر اختلاط الارواح * كاختلاط الماء بالراح * والباب الرابع والعشرون
في ذكر عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب
وتشبيه الردف بالكثيب * والباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده في
طلب الأحباب * من الأمور الصعاب * والباب السادس والعشرون في ذكر
طيب * ذكرى حبيب * والباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع
الفائقه * والأغزال الرائقه * مما اشتمل على ورد المذود * ورمان النهى
* وغير ذلك * مما هنالك * والباب الثامن والعشرون في ذكر طرف يسير
من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال * وما في معنى ذلك من
ذكر موالاتهم * ووصف لاتهم * والباب التاسع والعشرون في ذكر
من ابتلي من اهل هذا الزمان * بحب النساء والغلمان * والباب الثلاثون
في ذكر من اتصف من العفاف * بأحسن الأوصاف * واما الخاتمة
ففي ذكر من تاب من حبه * وقدم على ربه * من غني وفقير * وكبير وصغير * على
اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استقر قواعد هذا

المقلوب

الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * ومن هنا نشرع في ذكر ما يجلب
الراحة كراوح الحيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش * وهذه
المقدمة في ذكر رسم العشق ووسمه * ومدحه وذمه * وذكر اختلاف الناس فيه هل هو
اختياري او اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول * الفصل الاول
في رسم العشق ووسمه * وما قيل في اسمه * اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم
العشق وحده * وجزر بحره المتلاطم ومده * وما للناس فيه من الكلام المباين
* والقول المباين * اذ فيهم من التبس عليه * فسماه باسم سببه او باسم
ما يؤول اليه * وغير ذلك مما التبس عليهم فيه لجواب * واصابة الصواب
وعذرهم الظاهر * قول الشاعر * يقول الناس لو نعت لنا الهوى ٢
ووالله ما ادري لهم كيف انعت * فليس لشئ منه حد احده ٧
وليس لشئ منه وقت موقت * فمن حدوده الملحه * ورسوم الصحيحه * قول
فيثاغورس الذي اخذ عن اصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما
ذكره صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتزيد
ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي
في الطمع والفكر والأماني والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم
المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء
وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر
يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون
فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما ماتا غما وربما نظر الى معشوقه فمات
فرحا وربما شهق شهقة فتخنق روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة
فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حي وربما شفس الصعداء فتخنق نفسه
في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه
هرب دمه واستحال لونه قال الامام بن الامام محمد بن داود الظاهري
واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه
بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه

العارض من سبب والحد قائم بنفسه يتهيؤ للتلطف فيه بزوال سببه فاما اذا
وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال
الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية
السوداء فهذا هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الأطباء ومنها
قول افلاطون الاخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية
متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعى محدث
للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض
النفسانى والجنون الشوقى فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له ومنها
قول ارسطاطاليس الاخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق
عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى
ويصم وقول الشاعر * فلست برآء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه
اذا كنت راضيا * وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا
وقول الآخر * وعين السخط تبصر كل عيب * وعين الحب عن ذاك عميا
ومنها ما مشى عليه ابو على بن سينا وغيره من الأطبا * العشق مرض وسواسى
شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض
الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء
الظرفا العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا
ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقى وحبها كرم الله
تعالى على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة
وهى موجودة فى الانفس بتقدير مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لامر يستدل
به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان اشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين
زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة
اللفظ وقال الاصمعى سالت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى
وخفى عن ابصار الورى فهو فى الصدور كامن كمون النار فى الحجر ان قدحته
اورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه

واجب

واحتج بقول قيس * قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين
* العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين *
* انى جننت فهاتوا من جننت به * ان كان ينفى جنونى لا تلوموني *
وقيل لابى زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء اهل الظرف
* وقيل لابى وائل الاوضاحى ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن طرفا من
الجنون فهو عصارة من السحر وقلت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين
المتحرك وقال المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال سواخ تسنح للمرء
فيهيم بها قلبه ويوثر بها نفسه فقال له ثمامه اسكت يا يحيى انما عليك
ان تجيب فى مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن
فقال له المأمون قل يا ثمامه قال العشق جليس ممتع وانيس مونس وصاحب
ملك مسالكه لطيفه ومذاهبه غامضه واحكامه جاريه ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد اعطى عنان طاعتها
وقوة تصرفها وتوارى عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب مسلكه فقال
له المأمون احسنت يا ثمامه وامر له بالف دينار وهذا القدر كاف فى معرفة
العشق ورسمه * الفصل الثانى فى اسبابه وعلاماته اقول هذا
الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانيه * وعلاماته الجثمانيه *
على ان هذا النوع الاخير كثير * والمتصف به من المحبين جم غفير * وسنورد من
ذلك ما يعذب وروده * وتخفق كعب العاشق بنوده * ان شاء الله تعالى قال
بعض الاطباء سبب العشق النفسانى الاستحسان والفكر وسببه البدنى
ارتفاع بخار ردى الى الدماغ عن منى محتقن ولذلك اكثر ما يعترى الاعزاب
وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند
غيبة الطبيب ان اكل الطيور المسموعه يورث العشق وقال ايضا فى الخلاصة
علامته نحافة البدن وخلا الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخره
وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى
شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعدا ونبض غير منتظم

لاسيما عند ذكر اسماء وصفات مختلفة فانها اشتد عنده اختلاف النبض
وتغير الوجه فهو وق لـ ارسطاطاليس ان الفلكي العشق من النجوم زحل
وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا في اصل المولد او اجتمعوا او تناظروا
في اشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت احدهم او في حده وكان رب
البيت او صاحب الحد ناظرا اليه او كانت الكواكب المذكورة ناظرة في اشكال محمودة
او مقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمني والطمع والهم والهيمان والاحزان
والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق
والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق
والوله والهيمان والرقة وتبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث
والمفازلة التي تبعث على الشبق والغلمة وتدعوا الى الطرب وسماع الاغاني
وما شابهه وق لـ بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر في برج واحد
او مناظرين من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل
واحد منهما لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد او يتناظر الثلثان
من تثليث او تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك
يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة
وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويعترضان
ويؤيد هذا قول الخبازرزي لكن ارواح المحبين تلتقي * اذا كانت الاجساد عنهن نوما
واحسب روحينا من الاصل واحدا * ولكنه ما بيننا مقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت * له مهجتي بالغيب لما تألما
ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من هيبته
له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من مخاطبهم وهو يحد النظر اليهم
بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال ادب نبيه
صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرى ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب
فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا علم متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها
اضطراب بدن المحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه كما قيل

٧ وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشجان الفؤاد وما يدرى ٧
٧ دعى باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى ٧
٧ دعى باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام فى بلد قفر ٧

ومنها انه يستدعى سماع اسم محبوبه وليستلذ الكلام فى اخباره ويحب اهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر ، ،

٧ فيا ساكنى اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب ٧

وقال اخر * احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب *

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتى به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والاسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل راع الى مهمات والتباطى فى المشى عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سوالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل * يفديك بالنفس صب لو يكون له * اعز من نفسه شئ فداك به * ومنها الانبساط الكثير الزايد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه احدهما وكثرة الغمز المخفى والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما ابقى المحبوب فى الاناء قلت ومنها تقبيل نعله فى غيبته وقد رايت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا المذكور بمكة وارسل معى كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف امكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد * ولله منى جانب لا اضيعه * وللهوى والخلاعة جانب * ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

امرّ على الدّيار ديار ليلى * اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبى * ولكن حبّ من سكن الدّيارا

ومنها الاتّفاق الواقع بين المحبّ والمحبوب ولا سيّما اذا كانت المحبّة محبّة مشاكلة ومناسبة فكثيرًا ما يتكلّم المحبوب بكلام او يريد ان يتكلّم به فيتكلّم المحبّ به بعينه وكثيرًا ما يمرض المحبّ بمرض محبوبه قلت وقد اتّفق هذا غير مرّة للسّلطان الملك النّاصر احمد لمّا كان بالكرك مع محبوبه الشّهيب فانّه كان يمرض لمرضه ويصحّ لصحّته اخبرنى بذلك من لا ارتياب فى قوله ممّن كان فى خدمته مُلازمًا له واما وقوع ذلك للمتقدّمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن ابى نواس انّه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا به خفّة قالوا فانبسط معنا وقال من اين جئتم فقلنا من عند عنان جارية النّاطفى فقال وكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد انكرت علىّ هذه ولم اعرف لها سببًا غير انّى توهّمت انّ ذلك لعلّة نالت بعض من احبّ ولقد وجدت فى يومى هذا راحة ففرحت طمعًا ان يكون الله عافاه منها قبلى ثمّ دعا بدواة وكتب الى عنان

انّى حممت ولم اشعر بحمّاك * حتّى تحدّث عوّادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمّى لتطرقنى * من غير ما سبب الّا بحمّاك
وخلّة كنت فيها غير متّهم * عافانى الله منها حين عافاك
حتّى اذا انفقت نفسى ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

ومنها انّه اذا سئل عن اعراض بخلافه وكثرة التّثاوب والتّمطّى والتّكسّل اذا نظر الى محبوبه ونكثه فى الأرض بابهام رجله وهذا كثيرًا ما يتّفق للنّساء وعضّها على شفتها السّفلى وضربها على عضديها او ثديها واظهار محاسنها لمن تهواه توهّمه انّها ترى ذلك لبعض اهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث فى غير موضعه (ايّاك اعنى واسمعى يا جارة) ومنها الانقياد للمحبوب فى جميع ما يختاره من خير وشرّ فان كان المحبوب مشغوفًا بالعلم اجتهد المحبّ فى طلبه اشدّ من اجتهاده وان كان مشغوفًا بالنّوادر والحكايات الحسان والأخبار المليحة المستحسنة بالغ المحبّ فى طلبها وحفظها وان كان مشغوفًا بحرفة او صناعة اجتهد فى تعلّمها

ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الأنسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب
الكمال والبليه كل البليه ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله
حبه على التشبه به وفى اخبار العشاق ان عاشقا عشق الستر اويلات من اجل
ستر اويل معشوقته فوجد فى تركته اثنى عشر حملا وفردة من الستر اويلات ذكره
الصيمرى وعشق اخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد فى تركته
عشرة الاف منها وقد وقفت من هذا على اشياء كثيرة والجنون فنون *
الفصل الثالث فى مراتبه واسمائه اقول هذا الفصل عقدناه لذكر
مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته
ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر
والرمح والخمر والسيف والداهيه * والمحبة المحرقة وما ادراك ما هيه *
وضعوا له اسماء كثيره * وكانت عنايتهم به شهيره * ولا شئ يعدل اعتنائهم
بالحب * الذى يسلب اللب * فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق
ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر * ان التى زعمت فؤادك ملها *
خلقت هواك كما خلقت هوى لها * ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب كما
قال الشاعر * ولقد اردت الصبر عنك فعاقنى * علق بقلبى من هواك قديم *
وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله
من الكلفة وهى المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكأن المحب
يكلف المحب ما لا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وقيل هو مأخوذ من الأثر وهو شئ يعلو الوجه كالتسمم والكلف ايضا
لون بين السواد والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن
المقدار الذى اسمه الحب وفى الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الأطباء
من جملة انواع المالنخوليا والمراد بالمالنخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى
الطبيعى الى الفساد وهو مرتبة هذه الأسماء وقل ما نطقت به العرب وكأنهم ستروا
اسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده فى شعرهم
القديم وانما اولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ فى القرآن ولا فى السنة

الا فى حديث ابن داود الظاهرى كما يأتى بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب ويكون فى عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يتألها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجى واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت زج فسمى العشق الذى يكون بالانسان لزوجه ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابى العاشقة البلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذى يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره فى ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال فى المرأة عاشقة وامرأة عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم * ثم الشغف قال العزيزى فى غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهى علقة سوداء فى صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى اعلى موضع فى قلبها مشتق من شغاف الجبال اى رؤوسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة اى ذهب بها الحب اقصى المذاهب * واما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال فى الصحاح شعفه الحب اى احرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاذع اعنى مثل الشعف فى الاحراق فاللاذع اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه وحرق جلده ويقال هوى لاذع لحرقة الفؤاد من الحب وفى الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا هو الهوى المحرق * ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفى الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق او حزن * ثم التيم وهو ان يستعبده الحب ومنه سمى تيم الله اى عبد الله ومنه قيل رجل متيم * ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفى الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم * ثم التدلع وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اى حيره * ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم واهيم بالكسر لابل العطاش وقوم هيمى اى عطاش * والصبابة رقة الشوق وحرارته ولذعة الحبة والوامق المحب * والوجد الحب الذى يتبعه الحزن واكثر ما يستعمل

فى الحزن والدنف لاتكاد تستعمله العرب فى الحب وانما ولع به المتأخرون
وانما استعملته العرب فى المرض والشجو حبّ يتبعهم وحزن
والشوق سفر القلب الى المحبوب قال فى الصحاح الشوق والاشتياق
نزاع النفس الى الشئ وقد جاء فى السنة واسئلك النظر الى وجهك
الكريم والشوق الى لقائك واختلف فى الشوق هل يزول
بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لأنه سفر القلب الى المحبوب
فاذا وصل اليه انتهى السفر
والقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالاياب المسافر
وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر
* واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام *
قالوا لأن الشوق هو حرقة المحبّة والتهاب نارها فى قلب المحب
وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب انّ الشوق الحادث
عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذى كان عند الغيبة عن المحب قال
ابن الرومى
اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى
والثم فاها كى تزول صبابتى * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان
والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل
الشوق وهى وساوسه والتباريح الشدائد والدواهى يقال برّح
به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر
القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت
وحاجة المحب اشد الى محبوبه وقال الراجز
انى سابدى لك فيما ابدى
لى شجنان شجن بنجد
وشجن لى ببلاد السند وقال اخر

تحمل اصحابی ولم یجدوا وجدک * وللناس اشجان ولی شجن وحدی
والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض * والکمد
الحزن المکتوم والکمد تغیر اللون * والارق السهر وهو من
لوازم المحبة * والحنین الشوق والجنون اصله مادة الستر
والحب المفرط یستر العقل فلا یعقل المحبّ ما ینفعه ولا ما یضره
فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما یکون جنونا * والود خالص
الحب والطفه وارقه وهو من المحبّ بمنزلة الرأفة من الرحمة *
والخلة توحید المحبة فالخلیل هو الذی یوحّد حبه لمحبوبه وهی مرتبة
لا تقبل المشارکة ولهذا اختص بها من العالم الخلیلان ابراهیم
ومحمّد صلوات الله علیهما کما قال واتخذ الله ابراهیم خلیلا وصح
عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال انّ الله اتخذنی خلیلا کما اتخذ
ابراهیم خلیلا وفی الصحیح عنه لو کنت متخذا من اهل الأرض
خلیلا لاتخذت ابا بکر خلیلا * وقیل انما سمیت خلة لتخلل المحبة
جمیع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح منی * وبذا سمّی الخلیل خلیلا *

وزعم من لا علم عنده ان الحبیب افضل من الخلیل وقال محمّد حبیب الله
وابراهیم خلیل الله وهذا الزعم باطل لأن الخلة خاصة وهی
توحید المحبة کما تقدّم والمحبة عامة قال الله تعالی انّ الله یحب التوابین
ویحبّ المتطهرین * وقد صح انّ الله تعالی اتخذ نبیّنا خلیلا فحصل
من انعام الحب العام * على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثمّ حلة * بهذا فطاب الوادیان کلاهما

والغرام المحبّ اللازم یقال رجل مغرم بالحبّ وقد لزمه الحبّ
وفی الصحاح الغرام الولوع والغریم الذی یکون علیه الدین وقد
یکون الذی له الدّین قال کثیر

قضی کلّ ذی دین فوفی غریمه * وعزة ممطول معنی غریمها

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء اخر غير
هذه اضربت عنها خوف الاطالة * والمحبة أم باب هذه الأسماء
كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الا ترى ان كل محبة
شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور
فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه
غيا كان او رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال
للعاشق والواجد والذى يهوى الأمر محب وللناس فى حد المحبة كلام
كثير فقيل هى الميل الدايم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكل
يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قال المتنبى

* يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل *

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

* ومن عجب انى احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معى *
* وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * وتشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى *

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الاخر

* خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب *

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى
سويداوه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب
وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك
فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه او ما يعلو الماء
عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب
الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره
اذا امتلاء به كذلك اذا امتلاء القلب من الحب فلا اتساع فيه
لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذى يسميه المصريون الزير
ما احسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز
الزير وفيه اعتراض بشينه وحسن نظم يزينه

* وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *
* اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب *

الفصل الرابع فى مدحه وذمه اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه * وترياقه وسمه * فكم مدحه عاقل * وذمه متعاقل * هيهات فات من ذمه المطلوب * ومن اين للوجه المليح ذنوب * فمن خصاله المحموده * وفضائله الموجوده * ما قاله العلماء قدامه * العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان العجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكائد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويونس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب * وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه * ولطفت معانيه * وملحت اشاراته * وظرفت حركاته * وحسنت عبارته * وجادت رسائله * وحلت شمائله * فواظب على المليح * واجتنب القبيح * وقيل لآخر كذلك فقال لا باس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق * وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرنى انى خلى من الهوى * ولو ان لى ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

ولا خير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

وقال ا

وقال اخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وانت خال مفرد

وقال اخر

انا لم نتذق فى هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سواء

وقال اخر

ولا خير فى الدنيا اذا انت لم تزر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال اخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى احدا اذا لم يعشق

وقال المتنبى

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنا لقول المتنبى هذا مع زيادة التورية

ان تسالوا عما لقيت من الهوى * فانا الذى مارسته وعرفته

خالفت فى رشف الرضاب وطعمه * وعذلت اهل العشق حتى ذقته

حكى ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فأراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجوارى والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التى قيل انها عشقها ان تجنى عليه وقولى انى لا اصلح الا لشريف النفس عالى الهمه ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع فى ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك فى حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال الشريف وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اعظمهم اجرا قالوا وارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم ضعيفة وارواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد فى العقول

وتحرك النفوس وتطرب الأرواح * وتجلب الأفراح * ويتشوق
الى سماع اخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى
لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الأبطال انه يعشق ويشتهر
بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفا فمن دونهم تدور اخباره
* وتروى أشعاره * ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق
لم يذكر له اسم * ولا جرى له رسم * ولا رفع له راس * ولا ذكر
مع الناس * وقال المرزبانى سئل ابو نوفل هل سلم احد من العشق
فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من
فى طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز وظرف اهل العراق
فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلوا احد من صبوة الا ان يكون
جافى الخلقة ناقصا او منقوص البنية او على خلاف تركيب الاعتدال
فواعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر *
ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف * واغاثة الملهوف * كما قيل
* ويرتاح للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *
وقال ابو النجاب رايت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف
يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله * فيقذف فى قلبى وينفلق الصدر *
فلا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى * ومن فرحى بالحب وينقضى العمر *
فقلت يا فتى اما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال
بلى والله ولكن الحب ملاء قلبى فتمنيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى
منه ما فيه امير المؤمنين من الملك وانى ادعو ان يثبته الله فى قلبى
عمرى * ويجعله ضجيعى فى قبرى * دريت برام لا ادرى * هذا
دعائى وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطى الله سائر خلقه ثم مضى
قلت ذكرت هنا ما قاله الأخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال
ليت شعرى ما يعجبك فيها واولها مرار واخرها خمار فقال

لكن بينهما والله نشوة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين اخذه الشاعر فقال

ان يكن اوّل المدام كريها * او يكن اخر المدام صداعا *
* فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا *

واما ما جاء في ذمّه * وسريان سمّه * فاكثر من ان يحصر فمنه

ترك الغبيّ صعلوكا * والمالك مملوكا * كما قيل

* ظل من فرط حبّه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا *
* تركته جاذر القصر صبّا * مستهاما على الصعيد تريكا *

وهذه الأبيات لبعض ملوك الأندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق اتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع اهله ومصالح دينه ودنياه

* ووقع فيما يأباه * اي والله

والعشق يجذب النفوس الى الردى * بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجرّ رمحه بين يدي فالتفت فنظر اليّ فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم انشد

انا في امري رشاد * بين حبّ وجهاد
بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيّد والله قال فوالله ما خرجت الاّ هاربا من الحبّ ثم قاتل حتى قتل وقالوا الدمشقي

سبيل الهوى وعر * وحلو الهوى مرّ
وبرد الهوى حرّ * ويوم الهوى دهر

وقال غيره

العشق مشغلة عن كلّ صالحة * وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

وقال عبد المحسن الصوري

* وكان ابتداء الذى بى مجونا * فلما تمكن امسى جنونا *.
* وكنت اظن الهوى هينا * فلاقيت منه عذابا مهينا *

وقال محمد اليزيدى

* كيف يطيق الناس وصف الهوى * وهو جليل ما له قدر *
* بل كيف يصفو لكليف الهوى * عشق وفيه البين والهجر *

وما احسن قول عبد الله بن اسباط القيروانى

قال الخلى الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان انت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى * وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الاية الكريمة والحديث الشريف ان الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح وهوى مذموم وهو فى الشر والفساد وفى كتاب السهل الموانى فى فضائل بن مماتى ان بعض الصوفية قال انما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوى بصاحبه الى الهاوية لكان انسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

* فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون *
* فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون *

وقوله تعالى اخلد الى الأرض واتبع هواه قيل اخلد الى الأرض اى سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه ارضية سفليه *

الاسماوية علوية وبحسب مايخلد العبد الى الارض يهبط من السماء الى
سهل قسم الله للأعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها
الى الهوى رجع ضرره الى القلب والنفس سبع حجب سماوية * وسبع
حجب ارضية * فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماءً
سماءً فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل
القضية ان العشق والهوى اصل كل بلية * وفيه ذل كل نفس ابية *
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء ان يذل نفسه
قال الامام احمد تفسيره ان يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا
مطابق لحال العاشق فانه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل
اخضع وذل لمن تحب فليس في * شرع الهوى انف يشال ويعقد
وقال اخر
مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر
وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض
هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنى * فاوله سقم وآخره قتل
الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري
او اختياري اقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره * واسفر
كالصباح سفره * اذ للناس فيه كلام من الطرفين * وتبخترت بين
الصفين * فقائل بانه اضطراري * وقائل بانه اختياري * ولكل
من القولين وجه مليح * وقد رجح * ونحن نذكر من ذلك ما يعم
به الانتفاع * ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع * فمن ذلك
ما قاله القاضي ابو عمر ومحمد بن احمد النوفاني في كتابه تحفة الظراف
العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال
اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار
والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه

والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل
كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف
ترى هذه وضعته باختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار
وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب * ولا يختلج خلاف في قلب
قلت وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه اى رأينه في اعينهن
كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس امذين وامنين
من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن يقطعن الا ترج ولم يجدن
المالح ايديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب
كن اربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه
وما احسن قول بعض بني عذره وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم
يموت عشقا في هوى امرأة يالفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور
تجدونه فيكم يا بني عذره فقال اما والله لو رأيتم الجواجب الزج *
فوق النواظر الدعج * تحتها المباسم الفلج * لا تخذتموها اللات
والعزى وقال الفضيل بن عياض لو دعوت الله دعوة مجابة لدعوت
الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية
ورثى ابو السائب المخزومي وكان من اهل العلم والدين بمكان
متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو
قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال
والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة ثم انشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى * للعاشقين يطيب يا هجر
ما ذا تريد من الذين جفونهم * قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذللين من الهوى الوانهم * مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم * درر تفيض كانها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر
الفتح بن خاقان على قوله من ابيات

* ايها العاشق المعذب صبرًا * فخطايا اهل الهوى مغفوره *
* زفرة فى الهوى احط للذنب * من غزاة وحجة مبروره *

قلت وقد بالغ فى هذا الكلام * حتى استحق الملام * فليته اكتفى بما قيل فى التمثيل

على انى راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا على ولا لى

والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعى فى ان الميت عشقًا من الشهداء للحديث الوارد فى ذلك وسيأتى ذكره فى باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمى فى كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائنى لام رجل رجلا من اهل الهوى فقال لو كان الذى هو فيه اختيارا لاختار ان لا يهوى ولكن لا اختيار لذى هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفى هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

حكى انه نال ما تمنى لانه عمى بعد قوله هذا وقال ابو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين انى رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل فى سلمى

يلومونني فى حب سلمى كانما * يرون الهوى شيئا تمنيته عمدا
الا انما الحب الذى صدع الحشا * قضاء من الرحمن يبلوبه العبدا

وقال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق

والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه
وقال عبد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره
وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم
الله من العشق ولو كان اختياريا لأزالوه من نفوسهم ومن هنا
يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذا الحال
بمنزلة عذل المريض في مرضه وما احسن قول بعضهم

* ياعاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر *

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب * وانصباب دمع
العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه
اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره
ابن سينا وغيره انه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط
فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم
بان الانسان هو المختار في العشق بتسليط فكرته الواقع في محار سكرته
قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا
يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم
الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا واخبر
ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على
ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء
قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر
الله عليها الخلق فلو اعتذر بانه لا املك قلبه لم يقبلوا له عذرا
قلت والقول الصحيح الذي ليس فيه رد * ولا عن محجوبه صد *
التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما
جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة

القلب

القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا راى الصورة الحسنة
مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم فى حق النسوة اللاتى
متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب
بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر
* انما مصعب شهاب من الله * تجلت بنوره الظلماء *
ومنهم من اذا راى المليح سقط من قامته * ولم يعرف نعله من
عمامته * قال الشاعر
* فما هو الا ان يراها فجاءة * فتصطك رجلاه ويسقط للجنب
فهذا وامثاله عشقه اضطرارى والمخالفة فيه مكابرة فى المحسوس
ومنهم من يكون اول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له
ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود
فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم
يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق
ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب
والتعطل عن التميز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختيارى لانه كان
يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع ايضا اذا انتهى
بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر
العشق اوله ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا
ولهذا قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه
بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب * واخره عطب *
قال الشاعر
* تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق *
* راى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق *
قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب
الخمر فأن تناول المسكر اختيارى وما يتولد عنه من السكر اضطرارى

فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه
بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر
بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على التسبب ولهذا اذا حصل العشق
بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته وجارية
ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما
في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون
اضطراريا تارة واختياريا تارة وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم
فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقا او اختياري مطلقا
غير مقبول * عند ذوي العقول * والله تعالى اعلم * اقول
والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها واعتدلت
* وظهر بها في وجنة الورد حمرة الخجل وما بقي الا الدخول في الابواب
على الوجه المقترح * والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق
باب كريم فتح * الباب الاول في ذكر الحسن
والجمال * وما قيل فيهما من تفصيل واجمال * اقول هذا
باب عقدناه للكلام على الحسن واقسامه * والحبيب وكلامه
* ولا سيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب
* فعذب مقبله * وتساوى من حسنه في الحال ماضيه
ومستقبله * هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين
هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال
الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة * والجود والشجاعة *
والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذي
فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر
بشاماته * ويقول لخده الذي ازداد بها حسنا من زاد زاد الله
في حسناته * فلذلك قيل الحسن الصريح * ما استنطق الافواه
بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست ادرى ما هو
قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه
نكرة لا تعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم للحسن معنى
لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق
من الحسنة قلت والذى يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات
حسنات قال بعضهم فى سوداء مليحه

* يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات *
* ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات *

وقلت انا

ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات امسى * فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل
وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها
واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن
بذاك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة
فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عايشة رضى الله عنها
البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب
فالجميلة التى تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة
التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة
من الجمل وهو الشحم والمليحة ايضا من الملحة وهى البياض والصبيحة
كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة
فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام
واحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس

وجدت بها طيبا وان لم تطيب * وقال اخر
* ان المليحة من تزين حليها * لا من غدت بحليها تتزين *

وقال بعض اهل اللغة العرب تقول الحلاوة فى العينين والملاحة
فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان ومنه قول الحسن
رضى الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع اى اذا وقع دفع عن
نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم البدن
فيه الوجه والاطراف * وفى الوجه المحاسن واليها الاشتشراف
* وفى المحاسن النكت التى هى الغاية فى الاستحسان والاستظراف
* كالملاحة فى العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن فى الفم
ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة فى الجبين ونكتة الطلاوة البلج
وكالرونق فى الخد ونكتة الخد الضرج * ومما يستحسن فى المرأة
طول اربعة وهى اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها * وقصر
اربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها * والمراد بهذا القصر
المعنوى فلا تبذر ما فى بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطر
بلسانها ولا تظلم بعينها * وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها
وبياض عينها * وسواد اربعة اهدابها وحاجبها وعينها وشعرها
* وحمرة اربعة لسانها وخدّها وشفتيها مع لعس واشراب
بياضها بحمرة * وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها
وما هنالك * وسعة اربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها
* وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذا ذنيها وما هنالك وهو
المقصود الأعظم من المرأة قيل وجدت جارية فى زمن بنى ساسان
بهذه الصفة المذكورة جميعها فما كان احقها ان يقال فى حقها
لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها
وحكى ان يعصور احد ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان
ملك فارس هدية من جملتها جارية تغنى فى شعرها وتتلألأ لا جمالا
فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع
تضرب اهداب عينيها خدّيها كأن بين اجفانها المعان البرق

مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت * فصل قال في روضة
المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال
الظاهر كما قال لجرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف
هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امرء قد حسن
الله خلقك فاحسن خُلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان
ينظر كل يوم في المرأة فان راى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح
فعله وان راها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد
نظم بعضهم هذا فقال

ياحسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث
الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي ابن
ابي طالب وقد سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد * نظام لحق او نكال لمعتدي

وقال ايضا

فأجمل منه لم ترقط عيني * واكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبراء من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضيء لليلة البدر

ونظرت اليه عايشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت

كأنّ اباكثير الهذلى انّما عناك بقوله *

واذا نظرت الى اسرّة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفى الجملة فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الحسن فى الذروة العليا وروى انّ بعض الصّحابة لقى راهبا فقال صف لى محمّدا كأنى انظر اليه فانّى رايت صفته فى التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الحاجبين اقنى الانف مفلج الثنايا كأنّ عنقه ابريق فضّة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلّى الله عليه وسلّم مع هذا الحسن قد القيت عليه المحبّة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبّه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان احسن خلق الله خَلقا وخُلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصّلاة والسّلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر النّاس وفى الصحيح عنه صلّى الله عليه وسلّم انّه راى يوسف ليلة الاسرى وقد اعطى شطر الحسن وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يستحسن ان يكون الرّسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطى من حديث ابن جريج عن ابى مليكة يرفعه من اتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يا ربّ اىّ عبادك احبّ اليك قال المؤمن حسن الصّورة فقال اى عبادك ابغض اليك قال الكافر قبيح الصّورة ويذكر عن عايشة رضى الله عنها انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان ينتظره نفر من اصحابه على الباب فجعل ينظر فى المرآة ويسوى شعره ولحيته ثمّ خرج اليهم فقالت يا رسول الله

واكنت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليجمّل نفسه
فانّ الله جميل يحبّ الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه
ما يكرهه ممّا يمكن ان الله ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان
يتعاهد اديم وجهه * فصل قوله تعالى ولقد خلقنا الأنسان
في احسن تقويم اى في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته
منتصبا يتناول ما كوله بيديه مزيّنا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا
حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم
تكوني احسن من هذا القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث
الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت
شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو
الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الأنسان في احسن تقويم
وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن
والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس

٦٤ قد فاق بدر السماء حسنا * والناس في حبّه سواء ٧٠
٧٠ فزاده ربّه عذارا * تمّ به الحسن والبهاء ٧٤
٧٤ لا تعجبوا ربّنا قدير * يزيد في الخلق ما يشاء ٧٠

وحكي عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك
فقالت انها تحسن الوجه وانا احبّ ان يحسن وجهي * وحكي
ان المامون استعرض جيشا فمرّ رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرأه
الكن فأمر باسقاطه وقال انّ الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت
صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر
له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره
والاخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فزع
اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال
بعض الحكما قلّ ما توجد صورة حسنة تديرها نفس رديئة وقد قال

عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله
يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده
بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
تعالى اللطيف الحكيم لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من
الافات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما
تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس
واجماعا لا ينفرد وما خلق الله بيتا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه
واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية
فهو اولاهم مرتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب
الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي
في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه
فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة
من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة
افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لا محالة
ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن
السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلايا منها ان اباه
كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن في
اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم
الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم
لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا تبقى الا اياما قلائل
واما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته قلت وممن
حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر بن

الخطاب رضى الله عنه مرّ ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بنى سليم فرآه احسن النّاس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكنى فى بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلمّا ودّعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتنى قتل نفسى فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعد لكن اقول ما قال شعيب عليه السّلام ان اريد الّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الّا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاك ليكون ذلك عوضا لك اقول ذكرت بحلقه شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم فى ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحّا

كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما احسن قول السّراج الورّاق فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقفا * وما له اذ ذاك من شارب

قلندريّا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب

سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

وقال ابن سنا الملك

حكيت جسمى نحولا * فهل تعشقت حسنك

وكان جفنك مضنى * فصرت كلّك جفنك

وزادك السّقم حسنا * والله انّك انّك

فصل قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكرها هنا ما قالته الشعراء فى تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنّون والعين بالعين والصّدغ بالواو والفم

بالميم والصاد والثنايا بالسين والظرة المضفورة بالشين ومن
احسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشوا

ارسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فأعيى بهما واصفه
فقلت ذا من خلفه حيّة * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي الف ليست لوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقول الاخر

يا سين ضرتها وصاد عيونها * اني اعوذها بسورة طه

وقول ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده * في ميم مبسمه شفاء الصادي

وقول ابن نقاده

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط
والميم فوهما فالحروف تآلفت مكتوبة والصبر عنها يكشط

وقول الأخر

لا تقل لي لا فمكتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف صوّرت من قدره * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقول شهاب الدين احمد بن الهيمي

ان صدغ الحبيب والفم والعا * رض منه واو وصاد ولام
هي وصل بين انحنا سن لمّا * تم حسنا وبالعذار التمام
غير أني اراه وصل وداع * فيه يقضي افتراقنا والسلام

وقلت انا

حبيب تعالى قده حين سمته * وقال قوامي رجعه ما يقوّم
وخط عذاري اعجم الخال لامه * ولم ادر ان اللام في الخط يعجم

وقلت ايضا

يريدوا الى بعين نون حاجبها * كالقوس تعمى الرمايا وهي مرنان

وقلت ايضا فى عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم الف بها امسى * رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية ال * كتاب تخالها طره
وعين اصبحت فى العي * ن مثل العين والنقره

وقلت ايضا فى تقريظ كتاب ورد على من بعض الاحباب من رسالة افتتحها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا على * فلا تعجب لدمعى ان توالا
ووافانى كتاب منك عال * حكت الفاظه السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رايت له مثالا
لين امست به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم الف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خدٍ * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطا أن فيه * يعلم لينه الغصن الكمالا

وقال القاضى الفاضل من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيروانى وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم * ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم * ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادى والعيون الحوائم * ومن واوات ذكرت ما فى وجنة الاصداغ من العطفات * ومن ميمات دنت الافواه من ثغرها المتنال جنى الرشفات * ومن سينات كانها الثنايا فى تلك الثغور * ومن دالاتٍ دالاتٍ على الطاعة لكانها بانحناء الظهور * ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تخفق تروعها الاستحسان كالطيور * وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين

وخالد فيها خالد * وتحيته فيها المحامد * ويده تضرب فى ذهب
ذائب * والناس تضرب فى حديد بارد * الباب الثانى
فى ذكر المحبين الظرفا * من الملوك والخلفا * اقول هذا باب
عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا * واطوعهم باعا * واطيبهم عيشا
* واكثرهم طيشا * وارقهم شعرا * وادقهم فكرا *
واقربهم مرجوعا * واكثرهم بالحبيب ولوعا * اذهم فى الحقيقة
اولى الناس بذلك * واحقهم بالنوم على تلك الارائك * وذلك
بحسب ما سولته لهم نفوسهم * وزينه لهم جليسهم * كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الردى فتردى مع الردى

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا * ولحق مثل نور الدين
الشهيد بالشهدا * وستاتى حكايته فى باب العفاف ان شاء الله
تعالى ومنهم من اصبح دونه فى العفاف * واقام سالف محبوبه
مقام السلاف * ومنهم من خلع العذار * واحتج بقول
الشاعر فى العقار

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
فجمع ما بين ذات العقود * وابنة العنقود * ولكن مع صيانه * وحجوه
الى كيانه * فهو وان طال به المجلس اختصر * وان جنى فيه على
محبوبه اعتذر * كما قيل

ان اكن قد جنيت فى السكر ذنبا * فاعف عنى يا راحة الارواح
اى عقل يبقى هناك لمثلى * بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظوره * واخرج بها وجنة الحبيب
من صورة الى صوره * فجارى الندمان فى الجريال * وسما الى الحبيب
سموّ حباب الماء حالا على حال * فافضى به ذلك الى هلكه * وفساد
ملكه * كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد

الامين يوما للنّاس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد ابيض فوقع
فى ثمانمائة قصّة فوالله لقد اصاب وما اخطأ واسرع فما ابطأ ثمّ
قال يا ربيع اترانى لا احسن التدبير والسّياسة ولكنّى وجدت شمّ
الأس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نفاس اشهى الىّ من
مقابلة النّاس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل
وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السّياسة
والذى اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصّريح * ومفارقة الجميع
على وجه مليح * كما قيل

لو راى وجه حبيبى عاذلى * لتفارقنا على وجه مليح

وما احسن قول ابى الفتح البستى

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس فى الميزان هابطة لمّا غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع فى ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه
مالكا له كالمملوك وهم فى ذلك لشدة الباس * على خلاف ما عليه
النّاس * وذلك لأن العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب
له العشق الّا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصّادقين
فى المحبّة كما قال الشيخ شرف الدّين بن الفارض

ولو عزّ فيها الحبّ ما آثر الهوى * ولم يك لولا الذّل فى الحبّ عزّتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزّة * فكم عزّة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشّريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى * خالقا غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى * غير فرد مباعدا ومدان
وكذا الدّين واحد مستقيم * وكفور من عنده دينان

هو في شرعة المودّة ذو سِرّ * لك بعد من صحّة الإيمان
فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبّة كالرشيد وغيره
كما يأتي بيانه في بابه لم يكن محبّا حقيقة وهذا الغالب على الملوك
لكثرة ما لديهم * واختلاف الشكل عليهم * كما قيل
تثقل فلذات الهوى في المثقل * ورد كل صاف لا يقف عند منهل
والملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبّونه بالنفود المضه *
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّه * نعم قد يعشق الملك
العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما اكثر ما يظهر
من امر الملوك ان يضعوا محبوبهم في مقام مالكهم وهو ما لكوه
كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس
ظلّ من فرط حبّه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جاذر القصر صبّا * مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخدّ واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحب * راذا كان في الهوى مملوكا
وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار
ملك الثلاث الأنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلّها * واطيعهن وهنّ في عصياني
ماذاك الّا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعزّ من سلطاني
وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء المغرب واجاد
عجبا يهاب الليث حدّ سناني * واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا منتهيا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلوّ الى الصبا * ففضى بسلطان على سلطان
فابحن من قلبي الحمى وتركنني * في عزّ ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عزّ وملك ثاني

ماضرّ انى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهنّ من عبدانى

قلت وكم مثله من ملك قاهر * وسلطان قادر * تذل لهيبته الأملاك * وتذعن لسطوته الفتّاك * هدم الهوى اركانه * واذل عزّه وسلطانه * فقصر جفنه فى الليالى الطوال * واوقعه مع عقله الحسن فى اسر الأعتقال فقال

اما يكفيكِ انّكِ تملكينى * وانّ الناس كلّهم عبيدى

وانك لو قطعت يدى ورجلى * لقلت من الرضى احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى وقال الشيخ اثير الدّين ابو حيّان كان السّلطان ابو عبد الله محمد ابن السّلطان الغالب بالله احد ملوك الأندلس جميلا حسن السّياسة متظاهرا بالدّين رايته مرارا بغرناطة وانشدنى شعرا وحضرت عنده انشاد الشعرا ومن شعره

ايا ربّة الخدر الّتى اذهبت نسكى * على كلّ حال انت لا بدّ لى منك

فامّا بذل وهو ليق بالهوى * وامّا بعزّ وهو ليق بالملك

وقال الملك الامجد

من مثلى فى عصرى * بستانى فى قصرى

معشوقى مملوكى * غنّالى من شعرى

وقال الملك الظاهر فى مملوكه ايبك الجامدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد * ومن العجائب مالك مملوك

وانا الغنىّ وانتى من وصله * بين البريّة معدم صعلوك

ولكم سفكت دما بسيف عيونه * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الاشرف فى مملوكه وكان خانداره ديبيت

اقد قمر اتحار فيه الصّفة * يسخو بدمى وهو امين ثقة

ماذا عجبا يحفظ مالى ويرى * روحى تلفت به ولا يلتفت

وبقيّة ما له من المقاطيع ذكرتها فى الباب الاوّل من نقل الكرام

فى مدح المقام وذكرت فيه ايضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما كان
فيها عنه من حسن السيرة وهى من اغرب ما يحكى عن الملوك وقال
الملك تميم

بالله جدلى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى اظل اشكو * مثل محياك ليس يشكا

وحكى عن المأمون انه غضب على جاريته غريب المغنية وكان كلفا
بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم اسلمه الغرام واقلقه الشوق
حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها
فلم ترد عليه فانشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يزرى محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام * ولكنى بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتلينى * فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا امير المؤمنين والدك امير المؤمنين هارون الرشيد
اعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الأنسات لا بيات
المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها فى الباب الثانى من السكردان
وهى حكاية مليحة جدا وراى المأمون ايضا يوما غلاما مليحا
لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا لبلوائى * ويا عليما بطول شكوائى
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدى وانت مولائى

فبلغ ذلك احمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كلما يصلح للمولى
على العبد حرام وقعد والده الرشيد يوما عند زبيده وعندها
جواريها فنظر الى جارية واقفة على راسها فاشار اليها ان
تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكانى * حتى وثبت عليه

فلمّا قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وهى معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشقٍ صبّ بمعشوقة * كانمّا قلباهما قلب

روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

وحدّث ابو جعفر قال بينما محمّد بن زبيدة يطوف فى قصر له اذ مرّ بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهى تسحب اذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انّك قد هجرتنى مدّة ولم يكن عندى علم بموافاتك فانظرنى الليلة حتّى اتهيأ للقياك وآتيك فى غد فلما اصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشى وابو نوّاس فامرهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كلّ واحد منكم شعرا يكون اخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشى يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار

وقد تركتك صبّا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار

اذا استنجزتها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب

اتعذلنى وقلبى مستطار * كئيب لا يقرّ له قرار

بحبّ مليحة صادت فؤادى * بالحاظ يخالطها احورار

ولما ان مددت يدى اليها * لأمسها بدا منها نفار

فقلت لها عديتنى منك وعدا * فقالت فى غد منك المزار

فلمّا جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس

وخود اقبلت فى القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
همست بها وكان الليل ستترا * فقام لها على المعنى اعتذار
وقلت فى غد فمضيت حتى * اتى الوقت الذى فيه المزار
وقلت الوعد سيدتى فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك اكنت مطلعا علينا او ثالثنا فى القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما فى نفسك وعبرت عما فى ضميرك فأمر له باربعة الاف درهم ولصاحبيه مثلها

وذكرت هنا ما قلته فى ابن نهار

اقول لموعدى زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زيد * اذا طلعت عليه الشمس ذابا

وقلت

اتيت وبنان الجفون من الكرى * وابيت اسهر فيك مع سمار
وتلوم ان اصبحت فى يوم الجفا * مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

حكى انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان فكان المتوكل يجن به جنونا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد اسن فاحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتخمش اخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد عمر شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
تمنيت ان اسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد

وسقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد
ثم دفعها لشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال احسنت
ياحسين ولوكان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي
ياشفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامرله بمال كثير وكان
شفيع المذكور يكتب على طراز قبايه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * فى صفحة القمر المنير

ومن غريب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك ابن مروان كان صبا
بجباه جاريته فجلا يوما فى لهو معها وقال لاكذبن قول من
قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما واحضر حاجبه وقال له
لا تاذن لاحد يدخل على ولا تعلمنى بخبر ولوكان فيه ذهاب
ملكى مدة هذا اليوم واقام معها فى اتم حال فتناولت رمانة
فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه
وبين الصبر ومنع من دفنها حتى ساله جماعة من بنى اميه فى
دفنها ولاطفوه فى ذلك فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس وتدع الهوى * فبالياس نسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة ايام ومات اسفا عليها
ومثل فعله هذا فى عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته فى نقل الكرا
فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين
خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج ومنع من دفنه فكان يحمل معه
فى محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج
فقال له بعض الامراء ايها الملك قد مات قلج فضرب عنقه
فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكاية ذكرتها فى الكتاب
المذكور * الباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع

* ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع * اقول هذا باب عقدناه
لذكر من عشق قبل ان يرى * فتم عليه ما تم لما جرى من معه ما جرى
* فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين * وشهد على
عينيه بما لم ترياه فكان كمن كلف ان يعقد بين شعرتين كم ليلة
رقص فيها على السماع * وجمعة سهر من ليا ليها مثنى وثلاث
ورباع * فهو اعلا طبقة ممن عشق باللمس * او غيرها من بقية
الحواس الخمس * والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب
فى نفس الامر * أو تعارف سابق فى عالم الذر * كما قال الشيخ
فتح الدين ابن سيد الناس * واحسن فى الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس او تجرى مع النفس
وما لها اخر لكن اولها * تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر ناجانى البشير بها * اهلا بميتها طهرا من الدنس
اشهى الى القلب من امن على وجل * ومن محال الكرى فى الاعين النعس

قولى لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى اخره فيه اشارة الى انك لا تجد
اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات
لابد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من اهل
النقص انه يحب فقال ما احبنى الا وقد وافقته فى بعض اخلاقه
ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سال عايشة
رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن
قدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من
نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف

وانشد طرفه

تعارف رواح الرجال اذا التقوا * فمنهم عدو يتقى وخليل
وقد لا ابو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب

الطبيعة ولا في القياس ولا في الحسّ ولا في الممكن ولا في الواجب
ان يكون محبّ ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر انّ هذا للسّر الذى ذكرناه
من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احبّ من لا يحبّه
ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك اجوبة احسنها ان يقال
المحبّة على قسمين القسم الأول محبّة غرضيّة فهذه لا يجب الاشتراك
فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحبّ كثيرًا الّا اذا كان
له معه غرض نظير غرضه فانّه يحبّه لغرضه منه كما يكون بين الرّجل
والمرأة لانّ لكلّ منهما غرضًا مع صاحبه والقسم الثانى محبّة روحيّة
سببها المشاكلة والأتفاق بين الرّوحين فهذه لا تكون الّا من
الجانبين ولا بدّ فلو فتش المحبّ محبّة صادقة قلب محبوبه لوجد
عنده من محبّته نظير ما عنده او فوقه او دونه وذكر بعضهم انّ سبب
المحبّة ثلاثة اشياء امّا رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة
فهذه الثلاثة هى اصل ينبوع المحبّة اذ لا يخلو حبّ احد من ان يستند
الى شئ منها وقد قيل

ثلاث محبّات فحبّ علاقة * وحبّ تملّق وحبّ هو القتل

واحوال النّاس تختلف فى ذلك فمنهم من يحبّ مجرّد الوصف دون
المعاينة فيفنى ممّن وُصف له محبّة وما رآه ولكن وصف له وصفه كما قيل

فاتنى ان ارى الديار بطرفى * فلعلّى ارى الديار بسمعى

اخذه القاضى الفاضل فقال

علّلونى عن الشّأم بذكرى * انّ قلبى عليه بالأشواق
مثلته الذكرى لسمعى كأنّى * اتمشّى هناك بالأحداق

وقيل بعض الحكماء انّ الله عزّ وجلّ جعل القلب امير الجسد
وملك الأعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكلّ الحواس تطيعه وهو
مديرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده

العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمان شيئا
ولا يطويان عنه سرا يعني العين والأذن وقيل لافلاطون
ايهما اشد ضررا السمع ام البصر فقال هما للقلب كالجناحين
للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قصر احدهما
فتحامل بالاخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما راى
والاصم يحب وما سمع فقال لذلك قلت ان الطائر قد ينهض
باحد * جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابا ومضى
وطيرانا اقوى وكان يقال الحب اوله السماع ثم النظر كما ان
اول الحريق الدخان ثم الشرر * حكى عن ابى تمام انه سمع
جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال
ولم افهم معانيها ولكن * شجت قلبى فلم احمل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها
قال بن طاهر قلت لابى تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال
نعم من قول بشار
يا قوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا ائت لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
قلت والظاهر ان بشارا اخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره
وتبعه ابو يعقوب الخريمى فقال
قالت وتهزأ بى غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسى فداؤك انما * عينى واذنى فى الهوى سيان
وقال بشار ايضا الحب انما يتولد بالقلب والفكر وانشد فى ذلك
يزهدنى فى حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب
وقال المصرى وقد صدق فيما نطق انما احسن الحواس الخمس

بواسطةٍ توسطتها النفس وقد قال الخليل ابن احمد

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه * وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وانت اعمى * ظبيا كحيل الطرف ما
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما اطاف ولا المما
من اين ارسل للفؤا * د وانت لم تنظره سهما
ومتى رايت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصل * ت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبها تنم اذا استتما
فاجبت اني موسوى العشق انصافا وفهما
اهوى بجارحة الستما * ع ولا ارى ذات المسما

وقال المدني

ايا من لامني في حب من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصف لئلي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ ـة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن الشيخة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقال في الامال ان كنت لا حقا * بابناء ايوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسنا وفيه زيادة حسنة مطلعها

وجيت وجهك وهو بدر مشرق قلبي عليك كما علمت واشفق
يا من اذا ما الاحور آنس عذاره * امسى ولي بالعيش غصن مورق

ملاح خدّك بالعذار مكاتبا * الّا ظننت بانّ لى معتق

ومنها

كم ذا رقصت على السّماع بذكره * والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضيّة انّ من النّاس من يعشق على السّماع ويفنى فى محبّة من لا يراه لكن وصف له ولهذا نهى النّبىّ صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتّى كأنّه ينظر اليها والحديث فى الصحيح قال فى الواضح المبين * ومنهم من يعشق اثر رأه كما يحكى ان رجلا عشق اثر كفّ امرأة رأه فى حايط فلما ايس اهله من صلاحه تركوه حتّى مات * ومنهم من يحبّ فى النّوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

يا ليت شعرى من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام هى القمر

اظنها العقل ابداها تدبّره * او صورة الرّوح ابدتها لى الفكر

او صورة مثلت فى النّفس من املى * فقد تحيّر فى ادراكها البصر

او لم يكن كلّ هذا فهى حادثة * اتى بها سببا فى خلق القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الانف والاذن

ومنهم من اخبرنى انّه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النّساء ولم يعلم لمن هى فاخذها واقامت عنده زمانا واضنا من حبّ صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمت غيرى * يقول سلمت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنيّة راها فى نومه ووصفت نفسها له وجائته غير مرّة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموى انّ جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجنّ حتّى كثر ولعه بذلك فصار يصرع فى النّوم مرّات حتّى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا

شديدا

شديداً وكان جعفر خليعاً ماجناً ولما نهى المنصور مطيع بن اياس
عن صحبة ابنه جعفر قال واى مستصلح فيه واى غاية لم يبلغها
فى الفساد فقال ويلك وباى شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة
من الجن وهو مجتهد فى خطبتها ودأبه جمع اصحاب العزائم عليها
وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل
ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجنى فى الحى طلل * دارس الآيات عافٍ كالخلل

قلت هذا الذى يقال فى حقه الجنون فنون * ومثل هذا
ما اخبرنى به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال قال الثعالبى
فى فقه اللغة زعموا ان المناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله
تعالى وشاركهم فى الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع
الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن
للنساء بنى ادم * فصل فى ذكر ما ينخرط فى سلك العشق على
السماع والشهادة على الغايب كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن
الصورى

بأبى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتى لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

وما احسن قول الاخر

اهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقان العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقيناً ولكن من الغيب غيب

وقال بشار بن برد

يا طيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المسا ويك
وقال المتوكل الليثى

كأن مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال امرؤ القيس

وتغرها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظني به * وبالظن يقضى على ما اكتتم

وقال ابن حديس الصقلي

وماذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عود الأراك

وقال البهاء زهير

فثنت حلوا مليحا فحدثوا * باعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندك بطيبه ولم ار عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوه

قلت وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القرأت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شئ من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فاتيت في بعض الأيام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت اروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جاريته فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطى لاحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وتمثلت بيت

لابدّ منه فعليك بالصّبر ثمّ قلت له هذا الذى توفى ابنك
قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال
حبيبتى فقلت فى نفسى هذه اوّل المناحس ثم قلت سبحان الله
النّساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على احسن منها فقال
وكانّى بك قد ظننت انّى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحبسة ثانيه
ثمّ قلت وكيف عشقت من لا رايته فقال اعلم انّى كنت فى الطارمة
واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردّى على فؤادى ان ما كانا

فقلت فى نفسى لولا انّ ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل
فيها هذا الشعر فهويتها فلمّا كان بعد يومين عبر ذلك الرجل
وهو يغنّى ويقول

اذا ذهب الحمام بأمّ عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمام

فعلمت انّها ماتت فحزنت وقعدت فى العزآء ثلاثة ايام بهذا اليوم
قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همّتى على ترك تقطيع الدفتر
بحكاية امّ عمرو * الباب الرابع فى ذكر من نظر
اوّل نظره * فاحترق من خدّ الحبيب بجمره * اقول هذا باب عقدناه
لذكر من اوقعه النظر * فى الضّرر المودى الى السّهر * اذ هو داعية
الارق * وزناد الحرق * كودعى الى الجماع * المحرّم بالاجماع *
فهو سهم مسموم * وفعل مذموم * وفى مبداه يمكن استدراكه
* واسيره يرجى فكاكه * فاذا تكرّر ادّى الى ما صورته كيت
وكيت * اما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

كلّ الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النّار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السّهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى اعين العين موقوف على الخطر
يسرّ مقلته ما ضرّ مهجته * لا مرحبا بسرور جآء بالضّرر

قولى وفى مبدئه يمكن استدراكه الى اخره وذلك انّ الرّجل يمرّ بر
المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه
فتتحرك نفسه وتتبعث همته من اوّل نظرة فاذا تكرّر نظره اليها
ازداد حبّه لها وان جلس حتّى يراها صار الذى به اضعاف ما كان
فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى اسر حبالها ودخل
فى عدد العاشقين وهذا ممّا يويد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى
لانه لم يصر عاشقا الآ بعد وقوع هذه المقدّمات وكان يمكنه
حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى الّا فيما ندر كما تقدم
فى ذكر النّسوة اللّاتى رأين يوسف عليه السّلام ففتن من
اوّل نظرة وكان يقال النظر من المحبّ موت عاجل ومن المحبوب
سهم قاتل وكان يقال ربّ عشق غرس من لحظة وحرب جنى من
لفظة وكان يقال من اطلق طرفه كثر اسفه وكان يقال من كثرت
لحظاته دامت حسراته وقال اعرابى العشق نبت بذره النظر
وماؤه المزاورة ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التّمنّى
وقال الصّورى

غرست الهوى باللّحظ ثمّ احتفرته * واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتّى ينعب سجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدنى من الصّبر عازبا * عليك وتستدعى من النّوم نازحا

وقال الاصمعى كنت فى بعض مياه العرب فسمعت النّاس يقولون
قد جاءت فتحرّك النّاس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأت
مثلها قطّ فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلمّا رأت كثرة تسوّف
النّاس اليها ارسلت برقعها فكأنّه غمامة غطّت شمسا فقلت لم
تمنعنا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كلّه انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ثم نظر اليها اعرابى وقال انا والله ممن قل صبره وانشد

اوحشيّة العينين ان لك الأهل * ابالحزن حلوا ام محلهم السّهل
وايّة ارض اخرجتك فأننى * اراك من الفردوس ان فتش الاصل
قفى خبرينا ما طعمت وما الذى * شربت ومن اين استقلبك الرّحل
لانّ علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبه الشكل

اقول هذا والله هو السحر الحلال * والعذب الزّلال * قد اشتمل على مذهب السّحر الكلامى * والبدر السّامى * فكأنّى بها وقد ذكرت له الاهل * ووصفت من حبّها وخدّها الحزن والسّهل * هنالك يا ليتها سعياً على الرأس لا سعيا على القدم * وتكون وجنابها احبّ اليه من حمر النعم وينشد

ارينى مكان البدر ان قل البدر * وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها * وليس لها منك التبسّم والثغر

حكى انّه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله منّى * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فانّ الحبّ اخره المنايا * واوّله شبيه بالمزاح

قلت وفى هذا دليل على انّ العين هى التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كلّ منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رايده ومحبّة القلب زايده وهذه لها لذة النظر * وهذا له لذة الظفر * كانا فى الهوى شريكى عنان * وفرسى رهان * فلمّا وقعا فى الشبهات والحرق * واضرّ بصاحبهما الأرق * قال القلب يقول الارجى * لطرفه الجانى

تمنّعتما يا مقلتىّ بنظرة * وأورد تما قلبى اشرّ الموارد
اعينى كفّا عن فؤادى فأنّه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال ابو الطيّب المتنبى

وانا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الاخر

عوقب قلبى وجنانا ظرى * وربّما عوقب من لا اجنى

وقول الاخر

نظر العيون الى العيون هو الذى * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه * حتى تشحّط بينهنّ قتيلا

وقول الاخر

يا من يرى سقمى يزيد * دوعلّتى اعيت طبيبى
لا تعجبنّ فهكذا * تجنى العيون على القلوب

وقال ابن مدرك

جرحت بلحظى خدّ الحبيب * فما طالب المقلة الفاعله
ولكنّه اقتص من مهجتى * كذاك الدّيات على العاقله

فلمّا سمعت العين انشاده * وفهمت مراده * اشارت اليه * واخذت فى الانكار عليه * فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم * واخرس يتكلم * اليس من الخبر الذى شاع وذاع * انك انت الملك ونحن الاتباع * ترسلنى فيما تريد كالبريد * وتعقب ذلك بالتهديد * اما سمعت قول ابى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده * فان طاب الملك طابت جنوده * وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيّد الانام عليه افضل الصّلاة والسّلام انّ فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كلّه واذا فسدت فسد الجسد كلّه فبين ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علّام الغيوب * فانّها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب * فلمّا سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال * قالت فى الحال

انا ما بين عدوّتهما قلبى وطرفى
ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفى

وقال اخر

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا * تبكي وانت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه * بل انت حملتني الامال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه * كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد * قطعتماني بما لا فيتما قطعا

وقال اخر

عاتبت قلبي لما * رايت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي * وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي * بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا * تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما احسن قول الاخر

فوالله ما ادري انفسي لومها * على الحب ام عيني القريحة ام قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت * وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيا رب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذي يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الخبر * عن سيد البشر * لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلايق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وامرتني وصرفتني والا فانا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئا بدونك فتقول الروح له وانت الذي اكلت وشربت وتمتعت فانت الذي تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئا فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اشاور فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما *

فصل في ذكر سحر الجفون * ونبل العيون فمن ذلك قول
بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاة
شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ونقل شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام
عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما اعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ثنايا ك العذابا
ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

وانشد صاحب المرقص والمطرب

لو لم امت بالحظ قال العذل * ما قيمة السيف الذي لا يقتل

وقال ابن سهل الاشبيلي في مطلع موشحه

الحاظها للقتل * في كرها او في نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك

بابي هيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي
قد حمى خده بسور عذار * مقلتاه اضحت عليه مرامي

فصل في وصف العيون الضيقة وغيرها قال ابن النبيه
يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال ايضا

من بني الترك لين العطف قاسي الـ * ـقلب سهل الخداع صعب المراسي
ضيق العين هو من صفة البخـ * ـيل فان جاد كان ضد القياس
جذب القوس فاكتسى جبناه * ثوب ورد طرازه من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا * فى فؤادى وذاك فى القرطاس

وقال ابن قرناص

علقته تتريّاً * يشجى القلوب بلينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

بهت العذول وقد رأى الحاظه * تركيّة تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذى مضايق لست ادخل فيها

وقال الشيخ صفى الدين الحلى

لى منهم رشاء اذا غازلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيّق

حكى الخرايطى عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هانى وهو ينشد

ويلى على نجل العيون * النهّد الضمر البطون
الناطقات على الضمير * رلنا بالسنة الجفون

فوقف عليه اعرابى ومعه ابن له فقال اعد على فاعاد عليه فقال يا ابن اخى اويلك انت وحدك من هذا ويلى انا وانت وويل ابنى هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم وقال سبط التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاركة * من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال رشيد الدين الفارقى

انّ فى عينك معنى * حدث الترجس عنه
ليت لى من غضّه * سهما ففى قلبى منه

وقال محمّد بن العفيف التلمسانى

لحاظك اسيافى اذكر فعالها * كما زعموا مثل الأرامل تعزل

وله ايضا

ياعاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره

فطرفه الساحر مد * شككتم في امره
يريد ان يخرجكم * من ارضكم بسحره

وقال ايضا

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تمنى مثله الرشاء الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

وقلت انا من قصيد

حبيب نازل في كل قلب * وسيف لحاظه هوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل * ولا سيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه * رايت الموت من ماضيه حالا

وقلت ايضا من قصيد

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

وقلت ايضا من قصيد

التلواحظه على اهل الهوى * ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنو اوصارم لحظه في جفنه * ماضي الفرار ولم يمس بالمد
فاذا تجرد للمحب فلا تسل * عن سيف جفن كالحسام مجرد

وقلت ايضا من قصيدة

غزال غزاني بالمحاظ لانه * اذا ما بدت في حدقه الحرب ضيغم
تكلمني الحاظه بسيوفها * ولم ترقبلي ميتا يتكلم

وقلت من قصيدة

تسل سيوفا من لواحظ طرفها * ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح * فما تنثني الا وسيحان جامد

وقلت ايضا من قصيد

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
امير حسن من الاتراك حاجبه * على المحب له في مصر سلطان

غزت لواحظ في اهل مصر كما * غزا الانام بأرض الشام غازان

واما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين ام كبرت وقال ابو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الا مع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنالك في النقاء وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة في العين يمن وقال بعض العرب

احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذاك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا اخذ العبدي قوله حين قال له معاوية انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازي ازرق

الباب الخامس في ذكر تغير الالوان * عند العيان *

من صفرة وجل * وحمرة خجل * وما في معنى ذلك من عقد اللسان * وسحر البيان * اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لوني المحبين * اذا وقعت العين في العين * وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجر الى اين * وقد نصت الاطباء على السبب في ذلك * وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك * وانا اوردها ما قالوه بنصه * واصوغه كالخاتم بفصه * واعقبه بذكر الوان الحسان * باحسن

بيان * واوضح تبيان * هذا مع ما ينجر في ذيل ذلك من التفضيل
بين السمر والبيض * ووقوع محبّ السمان من الشعور والايراد في
في الطّويل العريض * واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعترى المحبّ
من خفقان قلبه * وطيران عقله ولبّه * فاقول وبالله التوفيق
قال بعض الاطباء سبب صفار وجه العاشق الفزع فانّ
الدّم لا يأوى مع الفزع وربّما نظر المعشوق الى العاشق فجاءه
فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التّامور
فاذا برد التّامور جمد الدم واستحال اللّون الى السّواد والخضرة
ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل
عرض من حركة تامور القلب فتحيل الدّم وتلطفه فيظهر في ارق
مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضيه ومجاهدتها
الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه
الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه
الرقيق البشرة الصّافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر
ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حايك ديباجا

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة
وصفرة لون يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما احسن
الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدّم صديق الروح والحمرة لونه
وافضل الياقوت واغلاه الاحمر واجود الذهب احمره وافضل
العسل الذهبي واليا قوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم
الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال
النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لي حمر
النعم ولوان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار النور *
والشقايق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفر واحسن

ما كان صبغه القرمز واحسن الحمر الحمرآء ولذلك وصفتها الشعرآء
بلون النّار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان
المخلوقة النّار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب
اباالهب وكان يكنى قبل ذلك اباعتبة لانّه كان من احسن النّاس
وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النّار لانه كان مشرق
الوجه متلهبه كما كنى النّبي صلى الله عليه وسلم ابا المهلب باصفرة
لصفرة كانت في وجهه ويقال في المثل كأنّ وجهه النّار وكأنّ
في وجنته الجمر وروى عن النّبي صلى الله عليه وسلم انّه قال
اهلك الرّجال الاحمران واهلك النّسآء الاحامرة والاحمران
الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال
الشاعر

انّ الاحامرة الثلاثة ضيّعت * مالي وكنت بهنّ قدما مولعا
الخمر واللحم السّمين وماطلى * بالزعفران فلا ازال مرقّعا

وكان النّبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال في
ابن عبد الله مارايت ذا لمة سوداء في حلة حمرآء احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتنبي

من الجاذر في زيّ الاعاجم * حمر الحلى والمطايا والجلل

واما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها * تروق بها العينين والحسن احمر

فانّه عنى به الحسن في حمرة اللّون مع البياض دون غيره من
الالوان وقال ابن عبد ربّه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصّفرة
الطول المكث في الكن والتضمخ بالطيب قال اعرابي

وما تسليت عن صفرآء حالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال الآخر

كأنّ لون البيض في الاداحي * لونك لولا صفرة الجاحي

يريد انها تضمخ بالجاوى وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلوّن الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشا صفراء قال الشاعر

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشيّة كالنهار

وقال بشار بن برد

فحذى محاسن زينة * ومعصفرات من افخر

فاذا بلغنا فادخلى * فى الحمران الحسن احمر

وقال الحريرى فى درّة الغواص امّا قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمرّ منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا * فاعلم بأن هناك موتا احمرا

واحسن زينة النساء فى اجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك قال ابو نواس فيه

يا قمرا ابصرت فى مأتم * ينذب شجوا بين اتراب

يبكى فيذرى الدرّ من نرجس * ويلطم الورد بعنّاب

وقال ابن عكاشة

من كفّ جارية كأن بنانها * من فضّة قد طوقت عنّابا

وما احسن قول الواوا الدمشقى

فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العنّاب بالبرد

وقال المرزبانى قال لى ابن دريد سهرت ليلة فلما كان اخر الليل اغمضت عينى فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسج دخل علىّ واخذ بعضادتى الباب وقال انشدنى احسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لأحد شيئا فقال انا اشعر منه فقلت ومن انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام وانشدنى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقايق

حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا * عليها مزاجاً فاكتسى لون عاشق
فقلت سألت الترتيب فقال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت
الحمراء ثم قلت بين نوى نرجس وشقايق فأخرت الحمرة فهلا
قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت
يا بغيض ثم انصرف وقال المتنبي

قالت وقد رأت اصفراري من جوى * وتنهدت فأجبتها المتنهد

اخذه الاخر فقال

قالت لترب معها منكرة * لو قفتي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

وقال ابن النبيه

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى احورارها

وقال عماد الدين ابن دبوقا من ابيات

ارى العقد في ثغر محكما * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا احمراً * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادي ببيع الهوان * لاجلك يا طلعة المشتري

وقلت انا من قصيد

لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو * ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر
ولا بيض الا اسود حظي عندها * ولا سمر الا دون اعطافها السمر

وقال بدر الدين ابن المحدث

يصفر لوني حين انظر وجنة * منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه * وقد انحنت وما اراه ينحنى

حكي عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر
ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع
كثرة دخولك على امير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت

اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال
البازى للديك ما اعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف
قال توخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك
باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت من هنا
الى هنا وصحت وان علوت حايط داركنت فيها سنين ثم طرت
منها وتركتها وصرت الى غيرها واما انا فاوخذ من الجبال وقد
كبرت فتخاطر عيناى واطعم الشئ اليسير واساهر فامنع
من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدى
فاطير اليه واخذه وآجئ الى صاحبى فقال له الديك ذهبت
عنك الحجة اما والله لو رايت بازيين فى سفود ما عدت انهم
ابدا وانا فى كل يوم ارى السفا قيد مملوة ديوكا فلا تكن
حليما عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرفه
لكنتم اسوأ حالا منى عند طلبه لكم قلت والذى هرب منه
وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى اذاقه الموت
الاحمر هذا بعد ان اخذ ماله وتركه فى اسوء حاله حكى انه
كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا
راه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من ابى ايوب وما افاده ذلك
شيئا لانه فعل به ما فعل * وقابله بما ليس به قبل * فصل
فى التفضيل بين البيض والسود * والسمر ذوات النهود * وهذا
النوع الاخير مما يميل اليه المصريون فى الغالب * وللناس فيما
يعشقون مذاهب * فمما قيل فى تفضيل السمر
لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى مرؤ اركب المهر المضمر فى * يوم الرهان فدعنى واركب الفيلا
وقال على بن الجهم
وعائب السمر من جهله * مفضل للبيض ذى محك

قولوا له دعنا ما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعد
لاشك ان لونكما واحد * انكما من طينة واحدة

وقال الشريف الرضي في تفضيل السود

احبك يا لون السواد فانني * رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت يوم الظبي الممي فلا تلم * جنوني على الظبي الذي كلما لما

وقال مسلمة

لام العواذل في سواد عذاقة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال اقوام وما علموا * اني اهيم بشخص كله خال

وقال ابن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبي * يا مسك في صيغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يروعك اسود لون * كمقلة الشادن الربيب

وقال آخر

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله واما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد * او يمتد اليه ساعد المساعد * قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن اصل ما يبنون عليه امرهم ذمه قال كشاجم

يا مشبها في فعله لونه * لم تعدما اوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

واما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب
كل منثور ومنظوم قال الشاعر

وانت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار النساء غير لنساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ وقال بعض السلف جعل الله البها
والهوج مع الطوال والدهماء والدمامة مع القصار والخير فيما
بين ذلك وما اظرف قول الشريف الناسخ

واحرباه من هوى قصيرة * في الارض منها الف الف قامه
اذا رنى الى الحقاف طرفها * قال الحقاف يا كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو
يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان
الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره *

فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه
وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه قال صاحب روضة
المحبين وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب
فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان
الروعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه
فجأة فان القلب يعظم المحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم
عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى
تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب
والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم
يعرف سببه ومن احسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب
عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيري

يقول لي حين وافى * قد بلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا * ء خفقة يعتريه

فقلت وصلك عرس * والقلب بيرقص فيه

ومثله قول الاخر

لاتنكروا خفقان قا * بي والحبيب لدىّ حاضر
ما القلب الا دارة * دقت له فيها البشائر

وما احسن قول ابن سناء الملك

اما والله لولا خوف سخطك * لهان علىّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فهبت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال اين تحلنى * حذرا علىّ من الخيال الطارق
فأجبت فى قلبى فقال تعجبا * ارايت عمرك ساكنا فى خافق

وقال الاخر

وسكنت قلبا خافقا * ياساكنا فى غير ساكن

وقال الطغرائى

مرض النسيم وصح والدآء الذى * اشكوه لايرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والدآء الذى * ضمنت عليه جوانحى خفاق

اورد ابن الابار فى تحفة القادم قول ابن تقى من ابيات

حتى اذا مالت به سنة الكرا * زحزحته شيئا وكان معانقى
ابعدته عن اضلع تشتاقه * كى لاينام على وساد خافق

ثم قال نسب بعض اهل عصرنا ابن تقى الى الجفا فى قوله ابعدته عن اضلع تشتاقه ولو قال ابعدت عنه اضالعا تشتاقه لكان احسن ثم ذكر بعدها مما فضلوه على قول ابن تقى المذكور قول ابن الحكم جعفر بن عنان

ان كان لابد من رقاد * فاضلعى هالك عن وساده
ونم على خفقها هدوا * كالطفل فى هزة المهاد

وقال ابن الاثير فى المثل السائر فى ابيات ابن تقى المذكور

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصها والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع * وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع ❊
وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي

اتاني زائرا فحكى الهلالا * وابنعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لا لا * دوام الوصل يورثك الملالا

الباب السادس في ذكر الغيره * وما فيها من الحيره * وقرع سن * ديك الجن * اقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه * والمحبون فيها نوعان * والمضروبون بسوطها ضربان * فالأول يحبه الله ورسوله * ويتم به للعاشق سؤله * والثاني مذموم * وصاحبه ملوم * فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة * ولا تترك منها حبه * لأنها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيره * مما يؤدي الى فساد الصوره * والحكايات في هذا الباب مشهوره * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله ان تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل اهله وغيرة تدخل النار وقال صاحب روضة المجتبى الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلا وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في اذاه ومساخطه ويستخف

بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان
يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا
ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه
والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث يحمد
الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان
على زوجته وامته والشئ الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص
بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب
على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبده ويحمدوه خلافا
لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار
منه وربما سكنه ان امكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا
وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق
رسله اخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه
الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته
كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره قال
القشيري قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه
ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية
وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد
ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله
ان يقال له اتحب ان ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته اعلى نعيم
الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسئله النظر اليه
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم اني
اسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا
القائل انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس
وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه
ان يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شئ من ذلك

فلاموه فانشد

يقولون زرنا وافض واجب حقنا * وقد اسقطت حالى حقوقهم عنى
اذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منّى انفتهم منى

وبعضهم عن ترك الحج غيرة على بيته ان يزوره مثله وقد لمت شخصا على ترك الصلاة فقال لى انى لا ارى نفسى هلا ان دخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الادميين فللناس فيها ضروب * وحسنات غالبها ذنوب * فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب * او سماع انة فى الدرب

اغار اذا آنست فى الحى انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقال آخر

تغار من اللطيف الملم حمائها * ويغضب من مر النسيم غيورها

وقال ابن الاثير فى المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمايه فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من ارباب الهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو اغار اذا آنست فى الحى البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابى الطيب المتنبى

لو قلت للدنف المشوق فديتم * مما بم لاغرته بفدائه

والمتنبى اخذه من قول العباس بن الاحنف

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا

ومنهم من يلحق فى الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحترى

انى لاحسد ناظرى عليكما * حتى اغض اذا نظرت اليكما
واراك تخطر فى شمائلك التى * هى فتنتى فاغار منك عليكما

ولو استطعت منعت لفظك غيرة * كي لا اراه مقبلا مستفتيكا
خلص الهوى لك واصطفتك مودتي * حتى اغار عليك من ملكيكا
ومنهم من يغار عليه من ازراره ولبس ازاره
ارى الازرار على ليلى فاحسده * ان الازرار على ما ضم محسود
قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهي ما حكي عن الحسن
ابن زيد امير المدينة انه قال يوما لابي السايب وكان قد جمله وكساه
فكان يركب معه في موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن
فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل
كعادته فانشده الامير ارى الازرار على ليلى البيت فقال له ابو السايب
بأبي انت وامي من الذي قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السايب
عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير اين القلنسوة
قال تصدقت بها على الشيطان الذي القى هذا البيت على لسان
قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال الكشاجم
وعذبني قضيب في كثيب * تشارك فيه لين وانسجام
اغار اذا دنت من فيه كاس * على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه * على بدر يقابله سراج
اخذه المتنبي فقال في ممدوحه
اغار من الزجاجة حين تجري * على شفة الامير ابي حسين
وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة
ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من
نفسه كما قال ابو تمام
بنفسي من اغار عليه مني * واحسد مقلة نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حدق عليه
حبيب بت في جسمي هواه * واسكنه مهجتي رهن لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

وقال ايضا

اغار عليك من قلبي * وانا عطيتني املي
واشفق ان اراى خدّيّ * لك نصب مواقع القبل

وقال الاخر

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس * لذّ الحديث به وطاب المجلس
اني لمن نظري اغار وانني * بك عن سواي من الأنام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ان يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

رنمّا ستر في صدودك عمدا * وطلا ابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

وقال اخر

ولمّا رمت بالحظ غيري حسبتها * كما اثرت بالعين توثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم ببعدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول

فلو اضحى على تلفي مصرّا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحبّ غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا * اعرّضه لأهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري * ودون وصاله ستر الجمال

وكثير من الجهّال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها وانتصالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصّفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت

لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها
الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمايه
وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت
الرسالة المذكورة بقولي يقبل الأرض وينهي ان ديك الجن المذكور
من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما
وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما
فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية
للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس
انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل
البرنية المجعوله من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
روّيت من دمها التراب ظمأ لما * روّى الهوى شفتي من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خنافها * ومدامعي تجري على خديها
فوق نعليها وما وطئ الثرى * شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتلتها لأني لم اكن * ابكي دما اسقط اعتبار دميها
لكن بخلت على سواي بحسنها * وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبل البرنية المجعوله من رماده وملأ
منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * ان أبتلى بعد الوصال بهجره
قمرا اذا استخرجته من دجنه * لبليتي واثرته من صدره
فقتلته وله علي كرامة * فلي الحتا وله انتقائي باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في اثره
لو كان يدري الميت ما ذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

قول هذا الذي يقال له الجنون فنون * فانا لله وانا اليه راجعون

* من فعل هذا المجنون * على انه من ارق الناس شعرا * واكتمهم للمحبوب ذكرا * فمن شعره الفايق * ونظمه الرايق * قوله فى الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما * ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما
اقول صار الطالب مطلوب * وهذا الفقه المقلوب *
ما كفاه انه فعل بالأحباب * ما لا تفعله الكلاب * حتى يقول
لا واخذ الله من اهوى بجفوته * ويمزج رقة شعره بقسوته * فهو فى
الخفة والطيش * وقتل المحبوب لا فى ايش * ولا على ايش * فمن
غلب عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل * واقام ضربه بالسيف
مقام القبل *

احبابه لم تفعلون بقلبه * ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها فى الباب الاول من كتابى مرآة العقول ومما ينبغى ان يلحظ فى سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال وان هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندماه المختصين به فى مجلس انسه وجاريته تغنى من وراء الستارة فاستعار بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى أتى برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد لبيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ❊ ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية

الثمن وهي ثمانين الف درهم وكانت من القينات المحسان * ذوات الالحان * فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عمرون العبادي قبلني وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه وقال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات قلت قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما الفتها * فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الاخر فقال يتبجح بالقياده

اقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم انفه

وما احسن قول ابي الحسين الجزار

قلت لما سكب الساقي * على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا

وقال نور الدين الاشعري واحسن ما شاء

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قوادا يغار

الباب السابع في افشاء السر والكتمان * عند عدم الامكان * اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده * وهزل كل منهما وجده * اذ للمحبين فيهما مذهبان * مذهبان فمنهم من اباح اباحته * وراى في افشايه راحته * ومنهم من راى كتمانه من الديانه * فحل من مراتب الحب في اعز مكانه * حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدى
فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى
نعم من الناس من كتمه * فأراه كتمانه عدمه * ومنهم من افشاه *
فوقع فيما يخشاه * ولكل من المذهبين شاهد * وبحر دمع زائد *
لا ينجو غريقه * ولا تسلك طريقه * فالعاشق منهما بين داءين
كلاهما الاخطر * وسيفين لا بد من قتله بأحدهما على الصحيح
الاشهر * كما قال شهاب الدين السهروردى المقتول بحلب

وارحمتا للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح
بالسران باحوا باح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح
والذى اراه فى ذلك كله * وتمييز وابله من طله * ان المحب اذا علم
من محبوبه الوفا * وعدم الجفا * فالواجب عليه افشاء السر الى
الحبيب * وابداء العلة الى الطبيب * كما قيل

وبح بالسر ائر فى اهلها * واياك فى غيرهم ان تبوحا
وقد ظرفا بو جعفر الشطرنجى حيث قال

قل لمن شئت انتى بك مغرم * ثم دعه يروضه ابليس
وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره
الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر قلت بل هو السحر
كله * ومعظمه وجله * وقد عرف ذلك من جربه * وادبه الحب
وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلف عباسة
بنت المهدى بجعفر بعد ان زوجه بها الرشيد وشرط عليه ان
لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما احبت
وخاف على نفسه من الرشيد ان يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى * فصاح ونادى انى غير فاعل
فان لم تصلنى بجنة السر عنوة * وان عنفتنى فى هواك عواذلى

وان كان موت لا اموت بغصتى * واقررت قبل الموت انك قاتلى
فنالت منه ما ارادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرّها *
وشكوى ضرّها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى
غريب جارية المامون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه
عند خروجه الى الأنبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان
يحبّها جدّاً وكان ايضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك
غيرى فلمّا رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها
وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين * ما اسخن الفرقة للعين
لم ار فى الحبّ ولوعاته * اوجع من فرقة الفين

فقال لى الواثق فهمت يا غريب فقلت نعم يا سيّدى فكتب على الأرض
بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره * والحبّ خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هواك مجاهراً * فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتصاحكنا فغطنت فريدة فقالت يا سيّدى
علمت ما انتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت
خذيها اليك يا غريب فاخذت بيدها فاملك نفسه حتى انصرف
من خلفى مسرعاً فقلابها وامرلى بالف دينار * ومنهم من لا يجرى
ذكر العشق على لسانه البته * ويسكت حتى كأنّ به السكتة
ولم ار فى ذلك ممّا يتنافس فيه المتنافس * احسن من قول ابن قلاقس
كتمت الهوى عند العواذل ضنة * عليهم عن اصبو اليه واهواه
ولو قلت انى عاشق فظنوا بى * لعلهم ان ليس يعشق الا هو
ومنهم من يبوء باثمه * ويرى التصريح باسمه *
فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
وقال ابراهيم بن عبد الله رايت على خدّ جارية مكتوباً بالغالية

كل يوم اذوب من الم الشو * ق وقلبى من الصدود قريح
لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبى لعله يستريح
ويح قلبى كأنه لحد قبر * ضم اعضاء ميت فيه روح

والبيت الثانى من هذه الأبيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغى ان لا يعلم به خلا ولا صديقا * ما وجد الى ذلك طريقا * كما قيل

يا موقد النار لها باعلى كبدى * اليك اشكو الذى بى لا الى احد
اليك اشكو الذى بى من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم اجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سرى وسرها * سوانا حذارا ان تضيع السرائر

ومن ظريف ما مر بى فى هذا الباب ان بعض العشاق انشد يوما محبوبته قول الشاعر

سرى وسرك لم يشعر به احد * الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس القوادة فانها لابد ان تدرى بسرنا * وتطلع على امرنا * ومن احسن ما سمعته فى ذم مفشى السر قول الحسين بن بشر

لحى الله امرءا اوعاك سرا * لتكتمه وفض الله فاه
فانك بالذى استودعتنيه * انم من الزجاج بما حواه

قلت وما يعدان يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل

وما اكتم الاسرار لكن انمها * ولا اترك الاسرار تغلى على قلبى
فان قليل العقل من بات ليله * تقلبه الاسرار جنبا على جنب

وان هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت

فى جواريها بعروة بن اذينه وهو يغنى فقالت لجواريها من الشيخ
فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عمام انك تزعم انك لم تعشق
قط كيف وانت تقول

قالت وابثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى نحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما القى على بصرى

وقالت كل ما ترى حولى من الجوار احرار ان كان هذا الكلام خرج
عن قلب سليم قط ❊ حكى عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان
صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق احمد جارية لام
جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها
عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فانصل خبره بام
جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا * لشكائى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها * فى يدى شادن غرير ربيب
خبروها بان نعمى دوائى * كى تداوى مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسالت عن قصته فلما وقفت عليها
وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا
لسرى فافسدت على والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير
كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيى الدين الجزرى من رسالة فواعجبا
كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول
فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون
وترامت الى مهاوى الاثم الظنون * ولو ابدت بعضه اخاف
ان يفطن الناس * وان قضت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا
يسعه قرطاس * ومن احسن ما سمعته فى كتمان السر قول

النّابغه وكان الامام علي رضى الله عنه يتمثّل به وهو

لا تفش سرّك الا اليك * فان لكلّ نصيح نصيحا
فانّى رايت وشاة الرجا * ل لا يتركون اديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجّاج وكان قد استكتمه امرا فى كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرّا فأفشاه فلمته لانى كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه * فصدر الذى يستودع السرّ اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرّها * فسرّك عند النّاس افشى واضيع

وقال ابو جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرّك بل امنه * وصيّر من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرّا * ولا اغلقت مثل الصّدر بابا

وحكى الماوردى انّ عبد الله بن طاهر تذاكر النّاس فى مجلسه حفظ السرّ فقال

ومستودعى سرّا فضمّنت ستره * فاودعته من مستقرّ الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى واحسن ما شاء

وما السرّ فى قلبى كتاب بحفرة * لانّى ارى المدفون ينتظر النّشرا
ولكننى اخفيه حتّى كانّنى * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر

يا ذا الذى اودعنى سرّه * لا تترج ان تسمعه منّى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كانّه ما مرّ فى اذنى

وقال بشار

لاخرجنّ من الدنيا وحبّكم * بين الجوانح لم يعلم به احد

وقال طلحة بن ابى بكر

قوله لا تفش سرّك الا اليك فان لكلّ نصيح نصيحا الخ

لا تظهرن محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب
اظهرت يوما للحبيب مودتي * فاخذت من هجرانه بنصيب
قيل اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال احفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زاد ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضي الفاضل وامت الاسرار في قلبك * والحد موتاها في جنبك * فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند ربك * ووصف اعرابي قوما فقال سيوفهم آفات الاعمار * وصدورهم قبور الاسرار * وما احسن قول ابن مماتي من ابيات

وضاق علي السجن حتى كانني * حملت به للضيق في صدر مخنق
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج او كالسر في صدر احمق

وقال العباس بن الاحنف

باح دمعي فليس يكتم سرا * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلاعبه في غيظه وانحرافه * اقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب في نفسه * والحاق يومه بامسه * وهو من اعظم الابواب حشوه * واكثرها رشوه * واحسنها اختراعا * واكثرها خداعا * وابلغها خطابه * واكثرها اصابه * وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده * ويحسن عند اهل الانشاء انشاده * ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال * ويجاري برقة الفاظه الجريال * فمن ذلك وهو من احسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

ومثله قول الاخر

ما انس لا انس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم

وقال العباس بن الاحنف

كأنك لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
واني لاستحيي لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال الاخر

نسبت الى ذنب ولم اك مذنبا * وحملتني في الحب ما لا اطيقه
وما طلبي للوصل حرصا على البقا ولكنه اجر اليك اسوقه

قلت ما يرضى بروح سوآء بسوآء حتى يسوق اليه الاجر ايضا ومما قلته انا في هذا المعنى

لم اطلب الوصل من اجلي فديتك يا * من زاد حظي سوادا منه شاماتي
لكن خشيتك ان تبلى بعشق رشا * يقتص لي منك والدنيا مكافاة

وقال آخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري انه صدقا

وقال آخر

ياسيدي عندك لي مظلمة * فاستفت فيها ابن ابي خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع المخ عن خلة * فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مد شهر لنا هاجر * اما تخاف الله فينا فمه

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة * الى وانام تصف منك الخلايق
قلت هكذا رايته فى غالبها ووقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعته
من افواه اهل الأدب اعنى ان قافية البيت الأول عاشق والصحيح
انها وامق لأن المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة
والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة
الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق
اى محب لغير ريبة وقال ابن رواحة الحموى

ان كان يحلو لديك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب

حكى ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد * واقول للرحمن هذا قاتلى

فقال له الشاب اقول هذا اراد ان ينيكنى فما مكنته وقال ابن
سنا الملك من رسالة وانا والله فى امرك مغلوب *
والسبب انى انا المحب وانت المحبوب * ولا اتجالد عليك فاغرك
* واخون حبك * ولا اتصنع عليك فاغشك * واغم قلبك
* اعمل ما شئت فانا الصابر * واقتل كيف شئت فانا الشاكر
* وقل فى سمع يعشق قولك * والتفت ترآ مالى ترفرف حولك
* فافعل فانت المعذور * واستطل فما انا المضرور بل المسرور
* وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور * وقال
ايضا وانا استعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك * ويسلم عذبك
* ويصرف قلبك * ويجعلك ثانى عطفك * ويغيرك على
الفك * لست على هجرك جلد القوى * ولا على عتبك شاكى السلاح
وقال ابن التوادى الشاعر المشهور

اشكو اليك ومن صدودك اشتكى * واظن من شغفى بانك منصفى
واصد عنك مخافة من ان يرى * منك الصدود فيشتفى من يشتفى

وحكى القاضى ابو عمر محمّد بن يوسف الأزدى قال كنت اسايرا بابكر
محمّد بن داود الأصفهانى ببغداد واذا بجارية تغنى من شعره
اشكو اليك فؤادا انت مُتلفه * شكوى عليل الى الفاعله
سقم يزيد على الايام كثرته * وانت فى عظم ما الفى تقلله
الله حرّم قتلى فى الهوى سفها * وانت يا قاتلى ظلما تحلله
فقال محمّد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات
سارت به الركبان وقال ابو عبد الله
قلبى عليك ارق من خدّيكا * وقواى اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه * ظلما ويعطف هواه عليكا
وقال ابو العلاء المعرّى
لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى بن سبيل
وقال ابن سنا الملك
وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * فعمرك فى العشرين وهى نصاب
وقال ناصر الدّين بن المنجّب
لقد وجبت عليك زكاة حسن * وفيه كمثل ما فى المال حق
فلا تعدل به عنى فانى * لمصرفه الفقير المستحق
وقال القاضى شمس الدّين بن خلكان رحمه الله من قصيدة
لو لم اكن فى رتبة ارعى لها الـ * عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستر تجلدى فى هواك ولذلـ * ـخلع العذار وبحت فيك مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى * قد جنّ هذا الشيخ فى هذا الصبى
وقال الآخر
حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانّنى مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتنى * الله يعلم اننى مظلوم
وقال المكرم

الناس قد اتموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذى ادرى وتدرينا
ماذا يضرك فى تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يقولونا
حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو اجمل من اثم الورى فينا

وقال المتنبى

زودينا من حسن وجهك ما دا * م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا بوصلك الآن فى الدنيا فان المقام فيها قليل

اقول هذا البيت الاخير حسن فى بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه واما الاول ففيه تنفير فليته اراح واستراح * وترك التهكم بالوجوه الملاح * على ان التلعفرى اقتدى به فى التهكم باحبابه فقال دوبيت

يا تارك ربع الصبر منى مهدوم * ما انت لغائب الوصل قدوم
خف ربك فى العشاق وارفق بهم * ولا تحسبن دولة الحسن تدوم

الباب التاسع فى الرسل والرسائل * والتلطف فى الوسائل

* اقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب * وشكوى الجوى فى الجواب * وهو باب مطروق * نافق السوق * طالما عرض فيه المحب على الرسول * سلعة التحول * لا سيما من غيل صبره * واشتهر امره * فاصبح وهو فى البيت طريح * واستعمل فى مراسلة الحبيب حتى الريح * كما قيل

فيا نسيم الصبا ان الرسول له * والله يعلم انى منك غير ان
بلغ سلامى الى من لا اكلمه * انى على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولى لا تذكر له غضبى * فذاك منى تمويه وبهتان
وكيف اغضب لا والله لا اغضب * انى لما رام من قتلى لفرحان
اكل يوم لنا رسل مرددة * وكل يوم لنا فى العتب الوان
استخدم الريح فى حمل السلام لكم * كانما انا فى عصر سليمان
فهو من الهوى على خطر * ومن اقامة الهجر على سفر * لا يقر له

قرار * ولا يصطلى لوحشة محبوبه بنار * لاجرم انه يتعلل بالنسيم العليل * ويقول لاستنشاق النسيم منه قليلك لا يقال له قليل * ومن احسن ما سمعته في هذا الباب قول الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعانياه لعل العتب يطفئه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * ففالطاه وقولا ليس ينصفه

اخذه من قول عمر بن ابي ربيعة من ابيات يصف بها قوادة

فأشبهاطبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلط القول اذا لاحظها * وتراخي عند سورات الغضب

قيل ان ابن ابي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الواوا قول الاخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح
وان عرضت عني فموه مغالطا بغيري وقل ناحت عليه النوائح

وقول الاخر وبيت

باللطف اذا لفيت من اهواه * عاتبه وقل له الذي القاه
ان غضب الوصال فالطفه * او رق فقل عبدك لا تنساه

وقال ابو فراس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
ارت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابي

وكان الصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا في كتابي سلوك السنن في وصف السكن وذكرت فيه اشياء تليق بهذا الباب منها قول امين الدين بن عطايا

انا اهوى غصن النقا وهواه * وفؤادي يحبه في التيه

يانسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس إلّا * لك امينا في حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولي نسيما * نحو غصن النقا فمن يثنيه

وقال ابن الخياط الدمشقي

يانسيم الصبا الولوع بوجدي * جد انت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد

وقال مهيار الديلمي

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا لي في الدجى طيفكم * ان اذنتم لجفوني ان تناما

حكي انّ نور الدّين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب مرّ مع جماعة من الادباء المصريّين وفيهم ابو الحسين الجزّار فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هبّ الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزّار قفوا لينظم كلّ منّا في هذا شيئا قال فما لبث ان قال نور الدّين المذكور

الرّيح اقود ما يكون لانّها * تبدي خفايا الرّدف والاعكان
وتميل بالأغصان عند هبوبها * حتى تقبّل وجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الأحباب والأوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقي احدمنّا يأتي بمثل هذا فسيروا بنا

وقال علي الصفّار

اذا هب النسيم بطيب نشر * طربت وقلت ايه يا رسول
سقى انى أغار لانّ فيه * شذاك وانه مثلي عليل

وكان القاضي محيي الدّين بن عبد الظاهر يحبّ شابا مغنيّا اسمه نسيم وله فيه عدّة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من اشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي اللوعة في احشائه * كنت اتخذت مع الرّسول سبيلا

فقلت انا كأنّي حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيّما * وزعمت انّ هواه ليس بمتلف
فانا اقول لمن تحرّش بالهوى * عرضت نفسك للبلى فاستهدف

وقال القاضي محيي الدّين ايضا في محبوبه النسيم

يا من غدا لي من عوا * صف هجره الرّيح العقيم
انّى يطيب لي الهوى * ويقال قد رقّ النسيم

قلت انا كأنّي حاضر اخاطبه

بالله ان رقّ النسيم وأخمدت * نار توقّدها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله في الرّيح

وقال القاضي محيي الدّين ايضا

شكرا لنسمة ارضكم * كم بلغت عني تحيّه
ولكم اطالت بلّ اطا * بت في رسائلها الذكيه
لا غرو ان حفظت احا * ديث الهوى فهي الزكيه

اخذه صلاح الدّين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

يا طيب نشر هبّ لي من ارضكم * فاثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

فقلت انا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضي محيي الدّين المتقدم عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الرّيح

وقد ذكرت في النسيم اشياء ليحه في كتابي سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب ان يكون الرّسول من اهل الصّيانه * ومن يرجع الى ديانه * لئلا يطمع فيصير خيلا * بعد ان كان رسولا * كما اتفق لرسول ابن سنا الملك الذي قال فيه

راح رسولا وجاء لي عاشق * وعاقه عن رسالتي عايق

وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال آخر

راح الرسول اليه وهو مفنّد * رجع الرسول الىّ وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانة * وفى مثله تعذر الخيانة *

وقال المتنبى

مالنا كلنا جوٍ يا رسول * انا اهوى وقلبك المتبول

كلما عاد من بعثت اليها * غار منى وخان فيما يقول

افسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول

اى بعيناها بسحرها افسدت امانة الرسول فى الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى

قسماً لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا

ودرى بحبك انه قد خاننى * فغدا يجرّ من الحياء ذيولا

ومن احسن ما سمعته فى الرسائل والتلطف فى الوسائل ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان فى ايام ابيه احبّ قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه ان يجتمع بها ومضى على ذلك مدة ايام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زرّ ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضى الفاضل فعرّفه الصورة فقال فى الحال

اهدت لك العنبر فى وسطه * زرّ من التبر رقيق اللحام

فالزرّ فى العنبر تفسيره * زر هكذا مستتراً فى الظلام

وقال علاء الدين المغربى من رسالة انيقة وهى من المحبّ الكئيب * الى حبيب الحبيب * افتتحها بقوله يقبّل الارض وينهى بين يدى المالك الرحيم * سلطان الملاح * وليث الكفاح * منها

ذهب الليل وعادا * وغرامى يتمادا

كلّما قلت غدا ينـ * ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبى * نال فى الحبّ المرادا
وانا المسكين وحدى * نلت فى الصحب العنادا

قال الراوى ثم انّ علاء الدّين قال وانا المسكين وحدى بلت فى صحن القطايف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقّه وتركته ينخفض ويصفق ويغنى تلّلا له تلّلا له ياعوينات الغزاله رحم الله من قتلنى وانّى فخر فى قتل مثلى وهل انا الا شويعر مخارف مسخره فجعل رسائله وسائله * وقصائده مصائده * يستحلب ضرع الضراعه * ويبيط قناع القناعه * ان جاع اكل من تقطيع الأعاريض * وان عطش شرب من بحور القريض * فى زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح * والصّائح والنّايح

قد ذقت منه ما ليس يقلعر * ابو الحسين القلاع من ضرسى
بل اى شئ احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدى الصحبه * ويتراشفان كأس المحبّه * ويقتطفان ثمر الوصال * ويتسالمان انواع الدلال * ويتواصفان لواعج الغرام * ويتباسطة الحمام * ولا يحضرهما غير مزاح ومراح * ولا يلثمهما غير كأس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما * باتا بليل حميد غير مذموم
يتسفران عن نيّرين * ويبتسمان عن درّين * ويتسارقان النظر بلواحظ جؤذرين * كانهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتى الميزان * ان ثغا فلابعتاب * او ترا سلا بكتاب * فدر منثور * وسحر غير محظور * وان تسابقا فى ميدان الهوى * او ترا شقا بسهام الجوى * فالواتر موتور * والسّاحر مسحور * وهى رسالة لطيفة ظريفة كلّها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها فى الجزء الثانى من حاطب ليل

وقلت انا مما كتبته الى بعض الأصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها * بها اعين ترنو اليكم وترمق
وفي قلم امسى لرطب لسانه * سلام مشوق قد براه التشوق

الباب العاشر في الأخيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف معانيه * اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر * وما قيل في سيره من المثل السائر * اذ للشعراء في اقتناصه تخيل * وحسن تخيل * طالما اكثروا من ذكره * واستخرجوه من وكره * فقربوا عليه بعد المسافه * ولم يعافوا لحاق زجره بالعيافه * ومن المشهورين فيه بالاجاده * ابو عباده * وغيره كابن التنقيب * المتخيل على اصطياد خيال الحبيب * حيث قال * واحسن في المقال

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده * ومن عادة الأشراك للصيد تفتح

وما احسن قول الشيخ جمال الدين بن نباته في التورية

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كراكي

وقال ايضا

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وقال ابو محمد عبد الله السروجي واحسن ما شاء

انعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني * اعطى وصولا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس * بالصبر مني في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى فيك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته

بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي وملك يدي وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادري بذا وانا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني * من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة * لو كان يمكنني الرقاد لحقته

وقال ابو تمام

زار الخيال لها لا بل ازارله * فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له * من اخر الليل اشراكا من الحلم

وقال ايضا

يا لها لذة تنزهت الابصار * واح فيها سرا من الاجساد
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا في دعوة الاحلام

وقال البحتري وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه والكثرة تولد به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري ومن ذلك قوله

اذا ما الكرى اهدى الى خيالها * شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدي انتباهة * ظننت حبيبا راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب ايقاظا وننعم هجدا

وقوله

ولم انس اسعاف الكرى برزوها * وزورتها بعد الهدو وما تدري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * شتتنا نباشير الصباح الى الهجر

وقوله ايضا

بعثت طيفها الي ودوني * سير شهرين للمهاري العتاق
زاروها من الشام فيا * مستهاما صبا بارض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها * والدجى في بروده الاخلاق

وقوله

وليلة هوموا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا اغازله

فكم من يد لليل عندى حميدة * وللصبح من خطب تذم غوائله
وقال عبد الصمد بن المعدل

وَاصَلَ النّومُ بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير انّ الارواح خافت رقيبًا * فطوت سرّها عن الأبدان
منظر كان لذة القلب الّا * انّه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدى وهى كثيرة من شعره ودخل ابن القطان الشاعر البغدادى يومًا على الوزير التنوخى وعنده الحيصن بيصن فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانّى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضمّ والقبل
ما زارنى قطّ الّا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيصن بيصن ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيصن بيصن

وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين أعيى اليقظة الحيل

وقال الآخر

الا ربّ طيف منك بات معانقى * الى ان دعا داعى الصباح فهيعلا

واوّل من وصف الطيف عمرو بن قميئة فى ما حكاه المرتضى فى كتاب الطيف والخيال فقال

نانك امامة الّا سؤالا * والا خيالا يوافى خيالا
خيال يخيل لى نيلها * ولو قدرت لم تخيل نوالا

واوّل من طرد الطيف طَرَفَةُ بن العبد حيث قال

فقل لخيال الخنظلية ينقلب * الينا فأنى واصل جل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

واعجب من جرير فى طرد الخيال الراعى حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم * اتلك ليلى ات ليلا ام الغول
وقد ردّ على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي
واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعري هل احب جريرا ذا بدى اعتذاره
ان كان يصدق حبّه * فالقلب منه كالحجاره
لا بل اشدّ قساوة * فانظر له ابدا عواره
اذ قال قولا لم يقل * ه عاشق او ذو وجساره
طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره

وقال في الردّ عليه ايضا

هذا مقالك يا جرير لدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للمزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعي * ولذاك ذنب لا يقال
ام كان حبّك كاذبا * فمنامه ينفي الخيال
ام كان قلبك من حديد ليس تؤذيه النبال

وقلت انا

واخجلتا لك يا جرير في المحافل والمشاهد
طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبّا غير صائد
فرددت طيف خيالها * هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ * وافا اليك وانت راقد
لا عاد مثلك ما بقي * في الناس للعشاق عائد

وقلت ايضا من قصيدة

يطالبني قلبي به فكأنني * غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره * خيال مسلم وجيب مسلم

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني

يا حبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم في العالم

طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
ياغايبا يحكم فى مهجتى * على ظالت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكى * حظى منه انّ ظالمى

وقد احسن التهامى فى تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا انّ لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية فى اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تاخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلّم * على وقالت رحمة لحبيبى
اخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيبى

وما احسن ايضا اعتذار المغربى وقد ضمّنه بن عُنَين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانّه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وقال آخر

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى اسفا

وقال ابن المعتز

ابصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

قيل من نكد الدنيا ان الانسان يرى فى منامه انه شمّ طيبا او وصل حبيبا * او نال عزا * او وجد كنزا * فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما راى انّه قد احدث فاذا انتبه راى ذلك يقينا فى ثيابه كما قيل فيه

ارى فى منامى كل شئ يسرّنى * ورؤياى بعد النوم ادهى واقبح
فأن كان خيراً فهو ضغث خيالم * وان كان شرّاً جاءنى قبل أصبح
وقال المعرّى

الى الله اشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شرّا فهو لا شك واقع * وان كان خيراً فهو ضغث احلام
وما احسن قول ابن التلميذ

عاتبت اذ لم يزر خيالك فى النوم فشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعماً وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب
وقال ابن الاحنف

واحلم فى المنام بكل خير * فأُصبح لا اراه ولا يرانى
ولو ابصرت شرّا فى منامى * لقيت الشر من قبل الاذان
وما اظرف قول ابن المعتز

المّ الخيال بلا حمده * وأبدلنى الوصل من صدّه
وكم نومة لى قوّادة * اتت بالحبيب على بعده
ومثله قول الآخر

تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذاك لأمر عزّ عندى سلوكه
يقرب من اهواه حينا فانابى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه
وقال بعض مشايخ العصر

لوانّ طيفك فى المنام جليسى * مابتّ اشكو لوعتى ورسيسى
قمرٌ أدار على خمرة ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ماعمدتى فى قربه وحضوره * ووفائه الّا على ابليس
وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على أنّ الطيف
لا أعتدّ له بمنّة وان ركب المجاهل * وقطع المراحل * وتخطى
الى اغصان القنا * وخاض جداول الظُبَى * ووطئ شوك النصال
* وعثر بحبال الخيال * ودنا واعين الشهب حولى روان

واطراف القسي دوان * وكيف أعتدّ له بمنّة والفكر مُدنيه
واناً يقظان * ومثل ما لم يكن من قربهم كما مثلت العيون منه ما كان
* حكي عن بعض المغفلين انّه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدّة
طويلة فلمّا حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له
لأيّ شئ فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى خيالك
في النوم * وحكي عن بعض البخلاء انّه قال لمحبوبته وضعت خدّي
على الارض لكي ترضى فقالت أعطني دينارًا حتى اخليك تضع خدّك
على خدّي ولقد بلغ نهاية اللّطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني وقضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لوماتٍ من ظمأٍ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحبّ عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وقول الآخر

فهلّا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالًا يوافينا على البعد هاديا
سقى الله اطلالًا لها بالقنية الحمى * وان كنّ قد ابدين للنّاس حاليا
منازل لو مرّت بهنّ جنازتي * لقال الصدى يا صاحبيّ انزلا بيا

وقال توبة بن الحمير

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلّا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالًا يوافينا على البعد هاديا

الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله * وخضاب شفقه ونصوله * وما في معنى ذلك اقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير * فأمسى وماله الى اسفار الصبح سفير * فهو ينشد من شدّة الحرق * وكثرة الارق *

يا ليل طل او لا يطل * لا بدّ لي انا سهرك
لو بات عندي قمري * ما بتّ ارعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله * ويصفونه بسواد الوجه

عند حلوله * وعذرهم فى ذلك ظاهر * وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين احمد بن منقذ

لما رأيت النجم ساء طرفه * والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال ايضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسالته عن صبحه فاجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع فى ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهى ما حكاه ابو محمد اسماعيل بن منصور الجواليقى قال وقف على والدى وهو جالس فى حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدى قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصلينا به النارا
فالشمس بالقوس مست وهى نازلة * ان لم يزرنى وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعها والدى قال له يا ولدى هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدى لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت فى اخر القوس كان الليل فى غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كان فى آخر الجوزاء كان الليل فى غاية القصر لانه فى آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول

قوله الظلام كذا فى النسخ والصواب الظلام

وان

وان زارنى كان اللّيل عندى فى غاية القصر وقد انصف القائل

لا اظلم اللّيل ولا ادعى * انّ نجوم اللّيل لست تسير
ليلى كما شاءت فأن لم تزر * طال وان زارت فليلى قصير

وما احسن قول الارّجانى

وما ليلنا الا سواء وانّما * تفاوتنا انّا سهرنا ونمنا

ومن احسن ما قيل فى قصر اللّيل قول ابى اسحاق الصّولى

وليلة من اللّيالى الزّهر * قابلت فيها بدرها ببدرى
لم تك غير شفق وفجر * حتى تولّت وهى بكر الدهر

وقال الرّضى

يا ليلة كادت من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال آخر

سألت اللّيل لم ولّى هزيما * وقد بات الحبيب على اقتراحى
فقال كواكبى غارت وسارت * مخامرة على الّا الى الصّباح

ومن احسن ما قيل فى طول اللّيل قول العبّاس بن الأحنف

ايّها الراقدون حولى عينو * نى على اللّيل واتركوا الأعذارا
حدّثونى عن النّهار حديثا * او صفوه فقد نسيت النّهارا

وقال آخر

عهدى بنا ورداء اللّيل مشتمل * واللّيل اطوله كاللّمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضّرير فصبحى غير منتظر

وقال ابن العتّابيّة

لقد ساهرتنى عيون الدّجى * وقد نام عنّى عيون الملاح
اذا ما شكى اللّيل هجر الصّباح * شكوت الى الله هجر الصّباح

وقال ابن الزقّاق

لى مسكن شطت بر غربة * جادت لها عيناى بالمزن
ما أحسن الفجر ولا راقنى * بياضه مذبان فى الظّعن

كأنّما الصّبح لنا بعده * عين قد ابيضت من الحزن

وما احسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسرّ الهوى * وربّما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنّا هجم الصّبح

وقال يا قوت

كأنّ الثريا راحة تشبر الدجا * لتعلم طال الليل ام قد تعرّضا

فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهي جذما يقاس لي * شقاق الدجا مذ مدّ من الشرق والغرب

ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضي بالليل او ينقضي نحبي

وقد احسن الارّجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادّعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا

لكن مرآة الصباح تنفست * لهمّ اصدأ وجهها المصقولا

وقال مضر بن الفقعسي

وليل يقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها

كان لنا منه بيوتا حصينة * مسوح اعاليها وساج كسورها

وقال آخر

ولي سنة لم ادر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى عدن

وقلت انا

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت * عيني بغير ذرور السهد والسهر

كم بت ارعى نجوم الليل من ارقي * يا اشبه النّاس كلّ النّاس بالقمر

وقال الشريشي فامّا اكثر الشعراء فهم من الليل افزع * والى النهار انزع * لانّ الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر * واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي

وقال قيس بن ذريح

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

وقال ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

وقال المتنبي

كم زورة لك في الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت امير شعر المتنبي على كثره الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلي النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح نيشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز

(فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع انحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي ازورهم وسواد الليل يشفع لي بيت فاذا قالوا لا قل فاي فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف ومثل قوله هذا ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وامور العشق واحواله ومد أطناب الاسهاب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح او قبلت فاها
وهل زفت عليك فروع ليلى * زفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فافشر وقال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسري اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب
المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام
فكذبهم بأنه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم
وكان عونا له على زيارة من يحبه وقال بن رشيق

ايها الليل طر بغير جناح * ليس في العين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني ولوا الوجوه الصباح

حكى الاصمعي قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ
دخل ابو نواس فقال ما احدث بعدنا يا ابا نواس فقال يا امير المؤمنين
ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من حكم * بت عن ليلى ولم أنم
الابيات حتى اتى على اخرها فقال احسنت والله يا غلام أعطه
عشرة الاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج وحكي عن المطرز
الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف
المرتضى فأمر باحضاره وقال له انشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية
وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت
هبات سيدنا الشريف ايده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق
عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل
فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله
تعالى يقول والله قول المطرز عندي احسن من قول الشريف وقال
ابو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي اجز هذا
النصف * قد بلغ العشق منتهاه * فقلت

ومادرى العاشقون ماهو * فقال واغما غرهم دخولى * فقلت
فيه فهاموا به وتاهوا * فقال ولى حبيب يرى هوانى * فقلت
وما تغيرت عن هواه * فقال رياضه النفس فى احتمالى * فقلت
ورضة الحسن فى حلاه * فقال اسمر لدن القوام ألمى * فقلت
يعشقه كل من يراه * فقال ريقته كلها مدام * فقلت
خامها المسك من لماه * فقال ليلته كلها رقاد * فقلت
وليلتى كلها انتباه * ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا فى
السلطان الملك الكامل نغمده الله برحمته ومنه وكرمه
الباب الثانى عشر فى قلة عقل العذول * وما عنده
من كثرة الفضول * اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل
والقال من العذال * واستحق بامساك لحيته عند عذله نتف السبال
* وكيف لا وهو لكثرة فضوله * وقلة محصوله * يدخل بين
الروح والجسد * والوالد والولد * طالما اصبح بين المحبين
قفا بين صفاعين * لا يفتح له باب * ولا يرد عليه جواب
واتعب من ناداك من لا تجيبه * واغيظ من عاداك من لا يشاكل
وما اليه خلقى فى الهوى غير انى * بغيض الى الجاهل المتعاقل
فليته استراح واراح * وصان عرضه المباح * فقد اكثرت الشعراء
فى الرد عليه * واعتذرت المحبون اليه * كما قيل

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل * سرعة العذل * وكان يقال رب
ملوم لا ذنب له وكان يقال (لعل لها عذرا وانت تلوم) فكم عاذل
زاد المحب بعذله لجاجه * وجنونا اكثر من الحاجه

لا بد لى من هوى يلوم انى * كالريح يغرى الناس بالحراق

وقال الآخر

وما عذولى ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمّار
قال اسلهم انلم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة
يا من اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خدّيه فقد ربحت
يزيدنى العذل تبريحا الذ به * فليت عذال قلبى فيك لا برحت
وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى
اسرفت فى اللوم ولم تقتصر * وزدت فى لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول
وقال والده واحسن ما شاء
ولى على عاذلى حقوق هوى * شكرى عليه ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت فى عشقه انا السبب
وقال الآخر
قد اجتهد اللاحى وجاء يلومنى * وزخرف لى زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه
وحكى بن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا لأمالمتك ولم يعلم انه محبوبه الذى لامه فقال ابن وكيع فى الحال
ابصره عاذلى عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لى لو عشقت هذا * ما لامك الناس فى هواه
قلت له انى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى * يأمر بالحب من نهاه
وقال شيخ الشيوخ بحماه
زعموا اننى هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى * فسلوه ان كان قلبى سلاكم

قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال ايضا

انّ قوما يلحون في حبّ سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيّبا واعطوا خبيثا

وقال ايضا

من منصفي من عاذلي جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الّا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمّد بن شرف القيروانى

قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينته لعيانك ما يعنيني
اتصدّني ام للغرام تردّني * وتلومني في الحبّ ام تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك في المحبّة ديني

وما احسن قول الآخر

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زورٌ وبهتان
ما وجه من احببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال آخر

لقد راعني بدر الدّجى بصدوده * ووكّل اجفاني بسقمي كواكبه
فيا عاذلي دعني عساه يعود لي * ويا هجرتي صبرا على ما كوانيه

وقال عرقلة

قال العواذل ما الذى استحسنته * منه وما يسبيك قلت جميعه

وقال الشيخ جمال الدّين بن نباتة رحمه الله

ياخيبة العاذل الذى قد * اطال في العذل واستطالا
عذبني ثمّ قال سلو * عن حبّ ما فقلت لا لا

وقال ايضا

ايّها العاذل العبى تأمّل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرّة وجبين * انّ في الليل والنهار عجائب

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتي وإن مني تقاني * إن من يبتغي إلى الوسيله
انا ميت فقبلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

وقال النور الاسعردي

اقول لعاذلي لما نهاني * وقد وجد المقالة اذ جفاني
علمت بأنه مر المجني * وفاتك انه حلوا للسان

وقال ابو الفتح قادوس في الأكتفاء

من عاذري في عاذل * يلوم في حبّ رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

ومثله قول شيخ الشيوخ بحماه

اغضب العشاق منه انني * لم ابع في حبّه رشدي بغي
قلت قد اضنيت جسمي قال قد * قلت كي يذهب روحي قال كي

وقال ايضا

راموا فطامي عن هوى * غُذِّيتُهُ طِفلا وكَهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوّني والاّ

ومثله قول الوداعي

يلاّمني في هواها * افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الاّ * ولا الصبابة الاّ

وما احسن قول بن سنا الملك في هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربّما * نهنهت نفسي عفّة وتديّنا
ولقد كففت عِنان عيني جاهدا * حتى إذا أعيَيتا طلقتا لعِنَا

وقوله ايضا

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبى * فقبلته في الخد تسعين او أحدى

وقوله ايضا

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي

وقال الشيخ الشيوخ بحماه

اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنتُ ان توحشوا فؤادي * فأيئسوا مقلتي ولا تو

وقال ابن المعتز

زاحم كمي كمّه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا * يا قرة العين ويا همّي ويا

وقال ابن مطروح

والله لا خطر السلو بمهجتي * ما دمت في قيد الحياة ولا اذا

رجع الكلام في العذل وقال الآخر دوبيت

لما نظر العذال وجدي بهتوا * في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما نحسب الا اننا نعذله * من يسمع من يعقل من يلتفت

وقال الآخر

قالوا اسله واطّرح هواه * فقد بدا كذبه وافكُهْ
فقلت بالله لا تطيلوا * والله والله ما افكه

وما احسن قول شهاب الدين بن الخيمي رحمه الله

وعذول رابني في نصحه * كلما زدت إباء زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجى

وقال آخر

لو رأى وجهه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجهٍ جميل

انشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي

ذهب العمر بلوم * وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر * ضاع في قيل وقال

وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار

لو رأى حسن وجهه * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور درهم

وقال ايضا

لج العذول ولامني * فيمن احبّ وعنّفا
فهممت لطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدي * وقعت على اصل القفا

وما اظرف قول النور الاسعردي

وقالوا دع المعشوق واهجره دائما * المرتره بعد الملاحة ينتف
اينتف من اجلي ويتعب دائما * واهجره تالله ما انا منصف

وقال آخر

قل للعذول اطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منشورا

وقال محيي الدين البغدادي

ان لامني من لا اراه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان لحاني من رآه فقد * اضلّه الله على علم

وقال البهاء زهير

انت الحبيب الأول * وتلك الهوى المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك معذب * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صحّ عذرك في الهوى * لكنني اتعلل
قل للعذول لقد اطل * ت لئن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

وقال ابو العتاهية لقيت ابو نواس في المسجد الجامع فعذلته

وقلت

وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الىّ وقال

اترانى ياعتاهى * تاركا تلك الملاهى
اترانى مفسدا بالـ * ـنسك عند القوم جاهى

فلمّا الححت عليه فى العذل انشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيّها * ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت انى قلت هذا البيت بكلّ شئ قلته وقال جوّيان الغواص

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنه بغير ملاول
لتلقطى زهرات وَرْدِ خديكم * من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق * والمحبّ الوامق * الا تراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصّانع * وجنى من عذله جنى النّحل ممزوجا بماء الوقايع * فهو فى هذا المقام من الاثبات * كما قال ابو الشيص من أبيات

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبّا لذكرك فليلمنى اللوّم

وقال ابن رشيق وقد زاد على ابى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هُدِّدت بالسّلطان فيك وانما * اخشى صدودك لا من السّلطان
اهوى الملامة فيك حتى لو درى * اخذ الرّشا منّى الذى يلحانى
حسبى لقول النّاس بعد مغيبى * هذا قتيل فى وداد فلان
فلأنفقنّ عليك عمرى كلّه * ولأعشقنّ عليك كلّ هوان

قلت والذى اقوله انا فى هذا المقام * انّ صاحب هذا الكلام غريم الغرام * ونديم كؤس المدام * الا تراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة * فاصبحت حالته كما قيل ضِعْتُ على أبالة * فهو كما قال بعض السادات من الولايات * لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات * ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر

وان نُذِرت فيك العشيّة قتلتي * فَلَمَوتُ عندي في هواك سلام
ومن اعجب الاشياء خوفي في الهوى * ولي كل يوم في حماك حُمام

وقلت انا

وعاذل بالغ في عذله * وقال لمّا هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

وقلت ايضا

عذلوا على من رام قتلي في الهوى * فكلامهم ضربٌ من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن في المحبوب غير الطعن في الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولي في الذي * في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفردًا * قالوا اثنى عطفه الميّاد

وقلت ايضا

ياعاذلي لا تلحني * في حبّ هذا القبطلي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط

وقلت ايضا

مليح الترك لاسيما الخطابي * عليه الشيخ يعذر النصابي
فدعني من ملامك ياعذولي * فحبّي للخطا عين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبتّ لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلي لا تلحني في حبّها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت

اقول لظبي قلبه يشتكي الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذي ارى * مخالفتي فاخترلنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وازنت ميلي للعذول وقدّه * فرأيت ميلي للقوام رجيحا

يا عاذلى لا صافحتك يد النوى * حتى توسّد فى التراب صفيحا
ولقد نصحت بنى الصبا فى الهوى * لكنهم لا يقبلون نصيحا
وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر

فيا من جاء يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ما أمرّك

وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من حبيبك ما تحبّ وتشتهى * فاجعل مدامك من مقبله الشهى
واذا بدا لك ثغره متبسما * فاضحك على ذقن العذول وقبّله

وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضى القضاة تاج الدين السبكى بدمشق الشام

يا ساكنى السفح لى فى حيّكم سكن * وانتم فى سويدا القلب سكّان
دمعى يزيد كما ناس لبعدكم * والعاذلون على ثوراء ثيران

ومنها

فد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذّال لا كانوا
انا الذى لا ابالى فى الغرام بما * يروى فلان ولا ما قال فلتان

ومنها

برهنت حسن الذى اهوى وقلت له * ما للعذول على ما قال برهان
ما لامنى مذ رآنى فى الهوى رجبا * بمزج شعبان فيما رمت شعبان

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الأسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الأصمّ ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولى فى البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا ومن احسن ما سمعت فيه

وشادن مبتسم عن حبب * مورّد الخدّ مليح الشنب
يلومنى العاذل فى حبّه * وما درى شعبان انى رجب

وقلت انا ايضا

يسطو علىّ من الدلال كأنّه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه * فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه مثيم * صبّ غدا رجعاً على شعبانه

وقولهم سبق السّيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده واصله انّ سعدا وسعيداً بني ضبة بن أدٍّ خرجا في طلب ابلهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه ضبة اذا راى رجلا مقبلا قال اسعد ام سعيد ثم انّه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحارث قتلت ها هنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا السّيف فتناوله ضبّة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السّيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه ومن احسن ما سمعته فيه قول السّراج الورّاق

قلت اذ جرّد لحظا * حدّه يكفي الاجل
ياعذولي كف عنّي * سبق السّيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام * ذكرت قول ابي نواس في المدام

دع عنك لومي فانّ اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الدّاء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلّني على بيت أوّله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هوّلت عليّ فقال هو قول ابي نواس * دع عنك لومي البيت قلت وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في دُرّة الغوّاص عن حامد بن العباس انّه سأل عليّ بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لأصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال
وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
ثم تلاه ابو نواس فقال
دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد
ان تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب
المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه
وسلم ثانيا وبين القضيا وادى المعنى وتبرأ من العهدة فكاز
خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه
لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل
ان الذي جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة دريا قها
لم يصطلب الراوق الا عندما * قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها * ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفي خمرها * لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته ذقها وخذ من بعدها * في طرق لومك ان اردت فراقها
وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال
اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على وعلي
وقال الآخر
لو تعلم الورقا حنيني نحوكم * لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقها
حكي ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل
النامدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد
احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء انكرها

في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب

فانشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم يشك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تسامحني * بأن اراك على شئ من الزلل

الباب الثالث عشر في ذكر الاشاره * الى الوصل والزياره * اقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور * وما قيل فيهما من منظوم ومنثور * وغير ذلك من عيادة الحبيب * وما يستدل به عليه من روائح الطيب * كما قيل

ولو ان ركبا يهتدون لفادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا * وامسى له الفضل زائرا ومسرورا * كما قيل

ان زارني فبفضله اوزرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل * ولو الحق فيها الوابل بالطل * ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ جزعا
زائرا انعم عليه حسنه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وما احسن قول ابن المعتز

زارني والدجى لهم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدتنا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

وقال الآخر

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

قال

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتابه الواضح المبين
انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعماً انها اصدق
كلمة قالها الأواخر

يقولون لى بالله ما انت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أميكه

وقال يعقوب الشيبانى

قلت اذ زار من احب وجنح الليل روض ابدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلسا حين يمشى * واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم بسرى الى العيون مرارا
واجمعوا بيض الصباح وقولوا * لنهار الظلام كن بردارا

وعلى ذكر البردار ما احسن قول الآخر وبيت

ياليل بك الثناء والمدح يليق * اذ انت لاهل العشق حل وصديق
اذ انت جعلت بردارا لهمُ * لا تعط عليهم قط للصبح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حباني حبيب * وغناء يسبى النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبى فامنع الصبح وكن انت يا دجى بردارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا فتجلى
ما درى منزلى ولكن قلبى * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى * يحمل النزاع كيف استدلا

وقال الآخر

ياحبيبى وانت ما * زلت بالوصل منعما
زرتنى بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غائبا * افل البدر فى السما
ليت شعرى من الذى * من اخيه تعلما

وقال بشار بن بُرد

يا طيبا لنا سريقا غير مخبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * شنّ ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل انّ الديك يبيض في السّنة بيضة وهذا قال بشار ذلك
وقال ابن السّاعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمايه
باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فأخبروني
قلت واخبرني الآن بعض الصّوفية المقيمين عندي بالصّميريه
انّه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاج
ثم اقام بعد ذلك سبعة ايّام ومات رجع الكلام وقلت انا

لي حبيب له حبيث موافٍ * كلّ يوم يأتي اليه مرارا
قلت زرني فقال حبّي عندي * شغل الحلي اهله ان يعارا

وقلت ايضا من قصيدة

زار الحبيب ووجه الورد خجلان * فاصفرّ حين تثنّى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال قد كانوا
ما ضرّ لي ضيق عيشي حين واصلني * سمّ الخياط مع الاحباب ميدان

فصل في نم الطيب على الحبيب ما احلى قول ابن سكّره
اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تستّرت بالدجى عمدا فما استترت * وبان اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدّجى عنا لاظهرها * برق اللثات وعطر النحر والنفس

اخذه المعتمد بن عباده فقال واحسن ما شاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرّسول قد ازفت * فأت على غير رقبة وجل

اقبلت اهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الأرج

قيل ويستدل بالطيب على السلوك فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج وما زالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه بن النبيه

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات

له أرج من محمر الهند ساطع * تطلع رياه من الكفرات

يخمر ن اطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات

ومنها

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * بكره لأن يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهى مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائى

فسرنا فى ظلام الليل معتسفا * ففحة الطيب تهدينا الى الحلل

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على أمثالى

وقال بن الرومى

اعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال المتنبى

وتفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

فصل ومن احسن ما سمعته فى العيادة قول الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكاما تليدا

واشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى ان تعودا

وانثنى فى خفية وهى تشكو * الم المشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

انشدنى من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

وملولة فى الحب لما ان رأت * اثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * انا بالسقام وانت بالاعراض

وما احسن قول السليمانى

وانا الذى اضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

وقال الآخر

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى

ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشاكموان تقطعوا صلة الذى

ومن عظيم ما يحكى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين بن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندا وتلاف قبل تلافى
انا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال انت الذى وهذه صلتك وانا العائد قلت وقد استخدم بن عنين الصلة والموصول واجاد * وعامله الملك المعظم فى السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد * ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله * وسداد نبله * فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شانه * العظيم سلطانه * فكم أقر لابن عنين عينا * ووفى عنه دينا * فنال به السول * وطرب من الصلة والعائد بابره الموصول * لا جرم انه ملا بمدائحه ديوانه * وقال فيه من قصائد الطنانه

كريم الشاعار من العار باسل * جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية * هى الشمس للاقصى سناها وللأدنى

ولى انا من قصيدة فى هذا الوزن امدح بها مولانا السّلطان الملك الناصر مخلصها

تطاول غصن البان يحكى قوامه * فقلت له والله قد جئت فى المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصّرا * عن النّاصر السّلطان فى الحسن والحسنى
ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انّه حضر فى وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السّلطان لابدّان تهجونى فى وجهى فقبلوا الأرض واستعفوا من ذلك فقال لابدّ من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامرئ * قطّ الّا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السّلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخمر اذقت الخمرا) فقال السّلطان لا والله قبحك الله فقال (ضيّع الله بر اصلى الحانا) رجع الكلام الى العياده ما احسن قول السّراج الورّاق

قال الصديقى ولم يعدنى * وعارض السّقم فى اثر
لقد تغيرت يا صديقى * ويعلم الله من تغير

وقوله ايضا

مرّضت لله قومًا * ما فيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

ولهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها فى كتابى الطارئ على السّكران منها ما حكى عن القاضى ابو بكر بن العربى وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شابّ مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال السّاعة اضربك به فانشأ القاضى ابو بكر فى الحال لنفسه

يهدّدنى بالرمح ظبى مهفهف * لعوب بالباب الرّبيّة عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتّقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سالت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث

من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب

سمعتُ بما تشكو وما انت واجد * فظلت دموع العين في الخد تسفح
وارسلت خطي في العيادة نائبا * وما كل خط للعيادة يصلح

وقال المعتمد بن عباده

مَرِضْتَ فامسكتُ الزيارة عامدًا * وما عن قلى امسكتها لا ولا هجر
ولكنني اشفقت من أن ازوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

وقال الشهاب محمود في القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقتِ وبالخضر ايضا

واورد في كتابه حسن التوسل قول الارّجاني

غالطتني اذ كنت جسمي الضنى * كسوة اعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما
وقلت انا حين وقفت على قول الارّجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما قاسيت من الم النعاد
فقالت ان حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

وما احسن قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا لِلَحمي قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

وقال بن النقيب

وما بي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الجيب ونظرتي

والاصل في هذا كله

وجاؤا اليه بالثعاويذ والرقى * وصبّوا عليه الماء من الم النكسر
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به اعين الانس

وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي

اسم حبيبي ومايعاني * قد شغلا خاطري ولبّي
قالوا علىّ فقلت قدرًا * قالوا كوافى فقلت قلبي
وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل
وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت دنانى يضاعف تبعيدي
أقرّب برقى اذا قول اناله * وكم قالها ايضا ولكن لتهديدي
وقال السّراج الورّاق
قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم نفس ليت لا أحملها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها
الباب الرابع عشر في الرقيب النمام * والواشي الكثير الكلام * اقول هذا باب عقدناه لذكر كلّ رقيب غائر العين * كثير المين * يرى المحبّ بعين المقت * في كلّ وقت * ويرميه في الحضرة والمغيب * بكلّ سهم مصيب * فكم ترك المحبّ مضنى * وافقر فيمن احبّ وما استغنى * فهو كالصبح قاطع اللذات * تعيس الحركات * قبيح المنظر * سيّئ المخبر * كثير اللجاج * حجر في دكان زجاج * فهو والنمام * في الاذى فرسا رهان * رضيعا لبان * ومن بلغ ما سمعته في الرقيب
انا والحبّ ما خلونا ولا اطر * فقد عين الاعلينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الده * ربّاني قول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت انت الصبح فوافى فقلت كيم الطبيب
وقول بن المعتز
وابلاءي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل شربها برقيب
وقال ايضا
قد دنت الشمس للمغيب * وحان شوقي الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم * له حبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب *
وغيبة الرقيب * قال الصاحب بن عباد

قال لى انّ رقيبى * سيّئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنّة حفّت بالمكاره

وقال آخر

لسهم الحبّ جُرح فى فؤادى * وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكّل ناظريه بنا ويحكى * مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا * لَصُبَّ على مُحبّا وحَبيب

وقال آخر

يسقيك من كفّه مُداما * الذمّ من غفلة الرقيب
كانّها اذ صفت ورقّت * شكوى محبّ الى حبيب

وقال ابو نواس

لاحظته فتبسّما * وخلا المكان فسلّما
وبدا الرقيب فقلت لا * سلم الرقيب من العمى

وقال الصفى الحلّى

ومليح له رقيب قبيح * يتعنّى وغيره يتهنّا
ليس فيه معنى يقال ولكن * هو عند النحاة جاء لمعنى

وقال آخر

قالت صفا الوقت ولكنّ الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب ارضنى قالت اذا

وقال آخر

احبّ العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعى
وأهوى الرقيب لأنّ الرقيب * يكون اذا كان حبّى معى

وقال ابو جعفر احمد بن الابّار

زارنى خيفة الرقيب مُريبا * يتشكّى الغضيب منه الكئيبا

قال لى ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره اتى الجناب الرحيبا
عاطه اكؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد ان تدب عليه * قلت ابغى رشا واخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب * ناك محبوبه وناك الرقيبا

قال بن بسام لقد تطرف بن الابار وأبر واحسن ما شاء وقدر واظنه لو قدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه * ولم يخلص من يديه * وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقال ابو نواس

اذا هجع النيام فخل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
الذ اليك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفى

نشر النسيم بعرفكم يتعرف * واخو الغرام بحبكم يتشرف
شرف المتيم فى هواكم انه * طورا يبوح وتارة يتلهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح * نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا * ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لأنه * اخفى عليه من النسيم والطف
وكانما يفد النسيم دياركم * وله على تلك الديار توقف

قال عروة بن عبد الله كان عروة بن اذينة الليثى نازلا فى دار ابى العقيق فسمعته ينشد لنفسه

انا التى زعمت فؤادك ملها * خلفت هواك كما خلفت هواها

فاذا وجدتها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة * اخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى * ماكان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها
فاتانى ابو السايب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر لك
حاجة قال نعم ابيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشدنى
الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب
وصاح وقال هذا والله الدايم الصبابة الصادق لا كالذى يقول
ان كان اهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وارغب
لقد عدا الاعرابى طوره وانى لأرجو ان يغفر الله لصاحب هذه
الأبيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه
الطعام فقال لا والله ماكنت لاخلط بهذه الابيات طعاما
حتى الليل وانصرف وقال بن رشيق
تأذى بلحظى من احبّ وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال لما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا
وقال آخر
ورقيب عدمته من رقيب * أسود الوجه والعفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى * هو كالصبح قاطع اللذات
وسألت فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى
هل تحفظ شيئا مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدنى
لنفسه
قال لى صاحب يروم قريضا * فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح * قلت ما فى الرقيب شئ مليح

وقلت انا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغنّ لى * وقل فى ثقيل نحسه متغيّب
رقيب نُفى عن ارض ليلى عشيّة * وأخرج منها خائفا يترقب

وقلت ايضا

عاذلى فى الحبيب عنى فانّى * برّحت بى فى حبّه البرحاء
راقب الله فى محبّ حبيب * من نجوم السّما له رقباء

وقلت ايضا من قصيدة

فبت ولى شغل * عن العذل شاغل
يذود الكرى عنّى من السّهد ذائد

وقلت ايضا من رسالة * واما الرقيب فأمره عجيب * وغلق الباب فى وجهه نصر من الله وفتح قريب * فهو بالنهار من الذين يراؤون * وبالليل من فاعلة لا ينام ولا يخلى النّاس ينامون * فأذاه اذا ورد من بعيد * اقرب من حبل الوريد * والعاشق بينه وبين العذول * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * فهو ان قعد قامت القيامة * وان راح لا كتب الله عليه سلامه * فصل فى النمّام والواشى وما اظرف ما سمعت فى ذلك

قال لى عوّدى غداة رأونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلت مقلى به لسان وشاة * قطّعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود * فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذى تشتهيه فقال اعين الرقباء والسن الوشاة واكباد الحسّاد

وقال الآخر

لى عندكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وأل * سنة الوشاة واعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى المشاءون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون
اهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل ياكل لحوم الناس
ويمشي بالنميمه وقال وضاح اليمنى

فاعصِ الوشاة فانما * قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا اتو * ك تنصحوا ونهوك عن

حكى انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب
الشام بقول الشاعر

ويلى من المغرض العضبان اذ نقل الـ * واشي اليه حديثا كله زور
سلمت فازوريتني قوس حاجبه * كأنني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنها السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر
باحضاره ليتخذه نديما * ويحله من حضرته مقاما عظيما *
وقال السري

والفاك بالبشر الجميل مداهنا * فلى منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعتم من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

وقال شهاب الدين بن الاثير

اني بحبك مستهام مغرم * وسوى هواك على القلوب محرم
لا تسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه وثموا
فمناي ان ترضى ولو بمنيتي * اني والطلاق ثلاثة لى يلزم

وقال آخر

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج فى الحرم
خصاله ليست احصيها لكثرتها * لكنها جمعت فى نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم
عتل بعد ذلك زنيم وجاء فى التفسير ان الهماز الذي يهمز
الناس اى يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

وعن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرًا واللمزة سرًّا بالحاجب والعين والنمّام ناقل الكلام السّيئ وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لم أكره النمّام اخواننا * أساء اخوانى وما أحسنوا
ان كان نمامًا فمعكوس * من غير تكذيبهم ما أمن

وقال آخر

اسمع نصيحة عارف * جمع النصيحة والمقه
ايّاك واحذر ان تكو * ن من الثقاة على ثقه

وقال آخر

ومجلس راق من وشاش يكدره * ومن رقيب له باللّوم ايلام
ما فيه ساءٍ سوى السّاعى وليس به * بين الندامى سوى الرّيحان نمّام

وقال آخر

لا فضّ فاه فى عوارضه * سَبَبٌ والنّاس لُوّام
كيف يخفى ما اكابده * والذى اهواه نمّام

وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

اخفيت حبك عن جميع جوارحى * فوشت عيونى والوشاة عيون
وَوَدِدْتُ انّ جوانحى وجوارحى * مقل تراك وما لهنّ عيون
يا ليت قيسًا فى زمان صبابتى * حتى يراه العشق كيف يكون

الباب الخامس عشر فى العتاب * عند اجتماع الاحباب * وما فى معنى ذلك من الرضى * والعفو عن ما مضى *

اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذّمن الأمانى * وبث هوى ارق من النسيم المتوانى * نعم فى العتاب فوائد جمّة * وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمّة * وهو على اقسام عتاب هو فى تاكيد

المودة يحصّل الحاصل * وعتاب لتكذيب الناقل * وعتاب لتميز
الحق من الباطل * ومن المعلوم انّ للعتاب * بين الأحباب *
اصل وفصل * وقطع ووصل * لابدّ منه * ولا غناء عنه *
اللّهمّ الّا عند من لا يراه البتة * ولا يعاتب الحبيب الّا قلته *
كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحبّ فيما جاء واحدة * ثم السّلام عليه لا أعاتبه

وفي امثال العرب أسوأ الآداب * كثرة العتاب * وقال الاحنف
العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد وقد قال
بشار في تقليل العتاب

اذا كنت في كلّ الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واي الناس راقت مشاربه

وقال سعيد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدّهر يعدل مرّة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال آخر

وبعض العتاب اذا ما رفعت * يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه * فانّ لكلّ مقام مقالا

ومن اظرف ما سمعته في من جفى من الأحباب * ثم بادر بالعتب
* قول بعضهم

عتبت عليّ ولا ذنب لي * بما الذّنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللّوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللّص من قبل ان يأخذك

ومنهم من يكره العتاب جملةً ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة
الصّدود والقطيعة كما قيل

لا تقرعنّ سماع من * تهوى بتعداد الذنوب

ماناقش الاحباب الا من يعيش بلاحبيب
ومنهم من يراه * ولا يأباه * كما قيل
تصالح عاشقان على عتاب * فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

واحسن ايام الهوى يوم ذا الذى * ترقرق بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب
كتب الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه
يزداد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن
كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعانبه فأغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزداد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب
وذكرت هنا قول ابن رشيق
وظبى من بنى الكتاب يسبى * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه * واسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا * مسامحة فلا يعدى عليه

وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا
وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى ولحشاءى وشربى المدامع
وحبى يعاطينى كؤوس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع
قلت هذا التضمين فيه نظر * وعبرة لمن اعتبر * وكيف
لا وقد مزج قائله السم بالرضاب * والحق الحبيب بالحباب
* فاصبح وقد ضاقت عليه الحيله * وشبه ثغر محبوبه

بأنياب ضئيله * فقابل صفوعتابه بالكدر * فيا قلبه القاسى احجر
انتأم حجر * وما اظنه ملا كؤوس هذا الملام * الا من ماء ملأ
ابى تمام * حيث تجاوز الحد فى الاستعاره * وخرج وعلى كتفه
من الملام كاره فقال

لا تسقنى ماء الملام فانّنى * صبّ قد استعذبت ماء بكائى
فهلا تنزّه عن الأنخراط فى هذا السّلك * واقتدى بقول ابن سنان الملك

وأملّ عتابا يستطاب فليتنى * اطلت ذنوبى كى يطول عتابه
وفى غزلى ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه
او تخلّق بأخلاق النّاس * وتأسّى بقول ابى فراس

اساءة فزادته الأساءة حظوة * حبيبٌ على ما كان منه حبيب
يَعُدّ علىّ الواشياتُ ذنوبَهُ * ومن اين للوجه المليح ذنوب

على انّ رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر * فحينئذ
يكون كلامى حديث خرافة يا امّ عمرو *

وكم من عائبٍ قولا صحيحا * وآفته من الفهم السّقيم

وقال الآخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

واحسن منه قول عتيق بن محمّد الورّاق

كلّما أذنب بدى وجهُهُ * حُجّةً فهو مُلِحٌّ بالحجج
كيف لا يفرط فى اجرامه * من اذا شاء من الذنب خرج

وقال الحكم بن قنبر المازنى

كأنّما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وَجيهٌ حيثما شفعا

وهذا ماخوذ من قول ابى نواس فى سياقه

وجهى اذا اقبلت يشفع لى * وبلاء طرفك حسن ما خلفى

وفيه زيادة بذكر ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء * واعذب ثناء وقال ابو فراس

قل لاحبابنا الجناة علينا * درّجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم أو سيئوا * لا عدمناكم على كل حال

وقال ايضا

الا ايها الجاني ونسأله الرضى * ويا ايها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب حوله * ومن لا يردّ الغيب حين تغيب

وقال الآخر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال الآخر

واذا ما غضبت يوما عليه * لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى * ارتضاه كي يزول الملال

وقال الآخر

حجبي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فأنني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * والله يعلم انني مظلوم

وقال الفراء

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب موضع

وقال بن المعتز

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقلت انا من رسالتي قرع الباب * وانتظار الجواب *
فنعوذ بالله من زلة العاقل * ونبرأ اليه من التمادي في الباطل
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق
فقد حصحص الحق * وقرع العتاب حلقة الباب فقال
طق * وقال الآخر

وهبه ارعوى بعد العتاب فلم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأننى بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب * وقال من دق الباب
سمع الجواب * فاجابهم
فان كنتم تلقون فى ذاك كلفة * دعونى امت وجدا ولا تتكلفوا
فصل فى العفو والرضى * والصفح عن ما مضى * جاء عن
على رضى الله عنه فى قوله تعالى واصفح الصفح الجميل أنه الرضى
بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر
صادق اوكاذب لم يرد على الحوض وقال الشاعر

ذنبى اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

وقال آخر

ما احسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
يا غاية القصد واقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غيرك من غافر
اعوذ بالود الذى بيننا * ان تفسد الأول بالآخر

كان ابو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات
ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق
استحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب
الى المأمون ابياتا منها

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت منى الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستقيلك السكر والصحو
ولا سيما إن كنت عند خليفة * وفى مجلس ما أن يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة سر الينا فقد عفونا عنك

فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوى معه اخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط * فاذا ما انقضى طوينا بساطه

وقال بن سنا الملك وامّا ذلك الحبيب فأنّه حضر متفضّلا وجاء متذلّلا * لامتدللا * واستجار بحرم الحرمه * وخفض جناح الذل من الرحمه * واعتذر بأن الادلال دلاله بغرور * واوقعه فى أمور * واخرجه من الظلمات الى النور * فقبل عذره * وقبّل ثغره * وامتثل امره * وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه * واذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنّيه

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال الآخر

وزعمت انّى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذرنى وتجاوز * هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبّك المذهب
الزمنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح انّنى المذنب
فأنّ من اغرب ما مرّ بى * انّ عذابى فيك مستعذب

وقال آخر

وما قابلت عفوك باعتذار * ولكنى اقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار * ويحكم بيننا الخلق الجميل

الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين *

اذا وصلت لعظم السكين * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوّه * واغزرهم مروّه * وارقّهم قلبا * واحسنهم مربى * ممن اصبح بين المحبين قديم هجر وهجره * وامسى له بكؤس المحبّة الفاسكره * لاجرم انه اعان ذوى المحبّة * ووازر بنفسه من فى قلبه من الغرام مثقال حبّه * فسعى فى اصلاح

حاله * وساواه بنفسه وماله * ولله القائل * فى هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * او مُعينا او عاذرا أو عذولا
فأن كنت خاليا من ذلك كله
أعنّى باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل باجبان فشجّع
قلت اولا اقلّ من ذلك * يا ابنة مالك * ولله القائل فى ذلك
لو تعلم الناس من شوقى ومن كلفى * ما بت اعمله استسقوا بيعاد
واستشفعوا الى الفى باجمعهم * وجاء عائدهم فى زىّ قرّاد
ومن اعجب ما سمعته فى اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغنى انّ عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخزائطى كان رجل نخّاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها فى المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلّقها رجل فقير فكاد عقله ان يذهب فلمّا بلغه ذلك وهبها له فعُوتب فى ذلك فقال انى سمعت الله يقول ومن أحياها فكانما احيا الناس جميعا فلا احيى الناس جميعا وحكى الخزائطى انّه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما
ولقد رأيتك فى المنام كانما * عاطيتنى من ريق فيك البارد
وكأنّ كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى فراش واحد
فطفقت نومى كله متراقدا * لأراكِ فى نومى ولست براقد
فأجابته الجارية
خيرا رأيت وكل ما ابصرته * ستناله منّى برغم الحاسد
انى لأرجو ان تكون معانقى * فتبيت منّى فوق ثدىٍ ناهد
واراك بين خلاخلى ودمالجى * واراك فوق ترائبى ومجاسدى

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما واحسن اليهما على شدة غيرته
وقال ابو الفرج ابن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له
فقال المهلب

لعمري اني للمحبين راحم * واني ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ودّ مبدّد * واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة الاف دينار * وروي عن عثمان
ابن عفان رضي الله عنه انه جاءته جارية تستعدي على رجل
من الأنصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين
احب ابن أخيه * فما انفك اراعيه * فقال له عثمان اما ان
تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها لابن اخي واتى علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل
فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكني اصدقك

تعلقت في دار الرباحي خوّدة * يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب * اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة * ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيّحوا * هو اللص محتوما له القتل والأسر

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله لنعرف نسبه فقال النهاش
ابن عتبة العجلي فقال خذها فهي لك وحكى التيمي في كتابه
امتزاج النفوس ان معاوية بن ابي سفيان اشترى جارية
من البحرين فاعجبها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا
منها * وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعد ما طر شاربه
فسألها فقالت له هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها
شرر النيران وذكر الخرائطي ان المهدي خرج الى الحج حتى

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوىّ دخل عليه وبكى
وقال يا امير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب
ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه
فقال من عشيقتك قال ابنة عمى قال ألها اب قال نعم قال له
فما له لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا امير المؤمنين قال له
ما هو قال انى هجين والهجين الذى امّه امة ليست بعربيّة
قال له المهدى فما يكون قال انّ عندنا عيب فارسل فى طلب
أبيها فأُتى به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوّجه
كريمتك فقال له مثل مقالة بن اخيه وكان من اولاد العبّ
عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العبّاس وهم هجن فما الذى
يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوّجه
اياها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة
آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى
ببدرتين فدفعهما اليه فانشاء الشاب يقول

ابتعتُ ظبية بالغلاء وانما * يُعطى الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت سوّاق القباح لاهلها * انّ القباح وان رخصن غوالى

وعرض خالد بن عبد الله القسرى سجنه يوما فكان فيه
يزيد بن فلان العجلى فقال له خالد فى اىّ شئ حبست يا يزيد
قال تُهمةٌ اصلح الله الأمير قال فتعود ان اطلقتك قال نعم
ايّها الأمير وكره ان يُعرّض بقصته لئلا يقتضح معشوقه
فقال خالد أحضروا رجال الحىّ حتى نقطع يده بحضرتهم
وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد

اخا لد هذا مستهامٌ متيّمٌ * رمته لحاظ انه غير سارق
اقر بما لو يأتيه المرء انّه * راى القطع خيرا من فضيحة عاتق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لألفيتُ فى امر له غير ناطق

اذا بدت الرايات للسبق في العلا * فانت ابن عبد الله اوّل سابق

فلمّا قرأ خالد الابيات علم صدق قوله فأحضر اولياء الجارية فقال زوّجوا يزيد فتاتكم فقالوا أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوّجوه طائعين لتزوّجونه كارهين فزوّجوه ونقد خالد المهر من عنده وذكر احمد بن الفضل الكاتب انّ غلاما وجارية كانا في كتّاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطّف بمعلمه حتى صيّره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من طول حبّك حتى صار حيرانا

فلمّا قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدّموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبّا قد اضرّ به * طول الصبابة اوليناه احسانا

فجاء المعلّم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلي العريف ولا تخشين من أحد * امسي العريف صغير السّن وهانا

امّا الفقيه فلا يسطو عليه أذًى * فأنه قد بلي بالعشق ولهانا

وذكر الخرائطي عن ابي عسّاف قال مرّ ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي * متماشيا مثل القضيب الناعم

فسألها أحرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فانشدت

وانا التي لعب الغرام بقلبها * قتلت بحبّ محمّد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمّد بن القاسم بن جعفر ابن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرّجال فكم والله قد مات بهنّ كريم * وعطب بهنّ سليم * ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
ماكان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها
فقالت انجزيها وعلى اثمها حدّث محمّد بن عبد الله بن ابى مليكة
عن ابيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن ابى عمّار وهو يومئذ
فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة
واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه
فكان جوابه

يلومنى فيك اقوام أجل السهم * فما أبالى أطار اللوم أم وقعا
فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همّه غيره فبعث الى
سيّد الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيّمة
جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال ما لى
لا ارى ابن ابى عمّار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فاتاه
ابن جعفر فلما رآه اراد ان ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل
حبّ فلانة قال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال
اتعرفها إن رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنّا قد ضمنا
اليها واحدة والله ما نظرت اليها وأمرها فخرجت فى الحلّى
والحلل فقال هى هذه قال نعم بأبى انت وأمّى قال فخذ بيدها
فقد جعلتها لك أرضيت قال إى والله وفوق الرضى فقال
له ابن جعفر لكن والله لا ارضى ان اعطيكها هكذا
احمل اليه يا غلام مائة الف درهم الباب السابع عشر
فى ذكر دواء علة الجوى * اقول هذا باب عقدناه
لذكر دواء الحبّ * الذى اعجز اهل الطب * فهم فيه حيارى
* سكارى وماهم بسكارى * على انّ الذى جمعوا عليه *
واشاروا اليه * انه لا شفاء من هذا الداء العضال * الّا
بطيب الوصال * مثل غمز النهدين * وقرع الشفتين *

والتصاق البدنين *

رايت الحب ليس له دواء * سوى وضع الصدور على الصدور

ولاسيما ممن بدت نهوده * وتوردت خدوده * وعذب مذاقه * وطاب عناقه *

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى

والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما القى من الهيمان

كأنّ فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال الآخر

شفاء الحب تقبيل وشمّ * ووضع للبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * واخذ بالمناكب والقرون

وقال آخر

استقم قلبى ثم لم يبره * عاقد زنار على خصره

لا تلتقى روحى مع جسمه * حتى ارى صدره على بطنه

وقال ابو جعفر العدوى

فسكر الهوى أدوى لعظمى ومفصلى * اذا سكر الندمان من لذة الخمر

واحسن من قرع المثانى ونقرها * تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

وقال ابو دهقان

حدّثنا عن بعض شيخنا * ابو هلال شيخنا عن شريك

لا يشتفى العاشق مما به * بالشمّ والتقبيل حتى ينيك

وقال فى الأغانى قال ابو العيناء انشدت ابا العيرقول المامون

ما الحب الا قبل * وغمز كف وعضد

من لم يكن ذا حبّة * فانما يبغى الولد

ما الحبّ الا هكذا * ان نكح الحبّ فسد

فقال كذب المامون واكل من خرا ربطلين وربعا بالميزان

واخطأ واساء الادب هلاّ قال كما قلت انا

وباض الحبّ في قلبي * فواويلا اذا فرّخ
وما ينفعني الحبّ * اذا لم اكسر البرنج
وان لم يطرح الاصلع * فزجيه عن المطبخ

ثمّ قال لي كيف رايت قلت عجبا من العجب قال لكنّ ظننت انك تقول غير هذا قابل يدي فارفعها قلت قول المأمون ان نكح الحبّ فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزباني انّ اعرابيّا قال علقت امرأة كنت آتيها فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا انّي رايت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يديها فقالت مهْ لا تفسد ما صلح فانه ما نكح الحبّ الّا فسد وحكي عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت انت صحيح الحبّ كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل في منزله لم يكن همه الّا ان رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهي في القالب

اسرفت في نيكنا والنيك مصلحة * فأرفق بفضلك انّ الرفق محمود

فأجابها وهو في عمله لا يفتر

ولم انك نيك من تبقي مودته * لكن نيكي هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق اراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعي سببا لذهاب حبّك والله لا اجمعني وايّاك سقف بعد هذا ابدا وعلى هذا القول جماعة أعني انّ الحبّ اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحبّ الّا بعد ايقاع الوطي وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبّة كما قيل

لم يصف حبّ لعشوقين لم يذقا * وصالا يجل على كلّ اللذاذات

وقال هدبة بن الخشرم

والله ما يشفي الفؤاد الهائما * نفث الرقي وعقدك التمّائما

ولا الحديث دون ان تلازما * وتعلق القوائم القوائما

وقال آخر

قولا لعاتكة التي * في نظرة قضت الوطر
اني أريدك للنكا * ح ولا أريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا * لك كان هذا القمر

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم ترعنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة * كفاك اما شئ لديك سوى القبل
فقلت لها حبّ على القلب حفظه * وطول سهاد يستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ما لذة الفتى * من الحب في قلب يخالفه العمل

واما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطّائي الا انّه لا يفسد الحبّ بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورّع وعفة النفس وخوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل * ولربّ لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع *

وقال آخر

اتاذنون لصبّ في زيارتكم * فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السّوء ان طال الوقوف به * عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

وقال آخر

خود حرائر ما هم من بريبة * كظباء مكّة صيدهنّ حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا * ويصدّهن عن الخنا الاسلام

وسياتي ما ورد في هذا المعنى في باب العفاف والثاني ما قاله العلماء في اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحبّ النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لاستفراغ

ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممّن يحبّ تمكّن حبّه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تكره المرأة من الرجل كما قيل * رأت حُبّى سُعادُ بالاجماع * فقالت حبلنا حبل انقطاع *

* اذا المحبوب لم يك ذا مُمِرٍّ * رأى المعشوق كالشئ المضاع *

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السّفر كما قال بعضهم اذا ما شئت ان تسلو حبيباً * فاكثر دونه عدد الليالى

وقال الآخر

وقد زعموا ان المحبّ اذا دنا * يُمَلُّ وان النأى يشفى من الوجد

بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى وُدِّ

وقال الآخر

وقالوا دواء الحبّ حُبٌّ يزيله * لأخبرا وطول التمادى على الهجر

وقال آخر

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ ابو عبد الله البخارى فى تاريخه باسناده انّ محمّد ابن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يُلِحّ بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله اعلم * وقال شمس الدّين ابن الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصّه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندى اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الأوقات فى اجواف الدجاج اذا رمى فى ماء وشرب العاشق سلا وكذلك ان علق عليه

ايضاً

ايضا وكذلك حجر السّلوان ومحكه باللبن ومن علّق عليه حجر
المقلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان
عاشقا للذكر وتمرّغ في مناخ بغلة زال عشقه انتهى * تنبيه
التداوي بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز
نكاحه واما التداوي بالضمّ والقبلة فان تحقق الشفاء به كان
نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذاك فانّ
شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر * شربة
يستعمل البوس والعناق * والشفاه الرقاق * في قاعة وايوان
* وبركة وشاذروان * وطعام سبعة الوان * وبنفسج
ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان * ودنان خندريس
* والف دينار في كيس * وجارية من بنى الاتراك بساق
سمين * وطرف كحيل * تستعمل هذه الحوائج على بطع احمر
* ذي نقش اخضر * وبعد هذا يدخل الحمام * فانه مجرّب
والسّلام * شربة اخرى يؤخذ ثلاث مثاقيل من
صافي وصال الحبيب * ومثقال من عيدان الجفا وخوف الرقيب
* وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع * منقاة من غلث الهجر
والانقطاع * واوقية من خالص الودّ والكتمان * منزوعة
من عيدان الصدّ والهجران * ويؤخذ عطر النحور * ولثم الثغور
* وضمّ الخصور * من كلّ واحد مثقالان ويؤخذ ماية بوسة
رمانيه * محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكريه * وثلاثون
زق الحمام وعشرون عصافيريه * ويؤخذ غنج حلبي وشنجير
عراقي من كلّ واحد مثقالان ويؤخذ اوقيتان من مص اللسان
ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن
ثلاثة دراهم غلة مصريه * ويضاف اليها حسن الاعكان
المطويه * ويغلى الجميع بماء المحبّة على شراب الانس وحطب الطرب

فى مرجل النحلة ويصفى الجميع على مقعد دمشقى سلطانى ويُحَلّ
فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام
ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق * ويضاف اليها
قلب لوز العناق * وماء ليمون الاتفاق * ويتناول بعد ذلك
ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من شمول الساقين ويدخل
الحمام * فانه نافع والسلام ✻ سيف قاطع * وبرق لامع
ساطع * فيما يتعلق بدواء علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضى
فى الاعداد المتحابة وذلك ان فى الاعداد اربعة وثمانين ومايتين
وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٢٨٤
وحروف نطقه دفر وفى الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مايتان
وعشرون وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٢٢٠
وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومايتين يحبه ابدا
عدد اربعة وثمانين ومايتين فاذا كان عند انسان خاتم او لوح
فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم
ثان او لوح زنته زنة الثانى من العددين فأن الذى عنده اربعة
وثمانون ومايتان يحب الذى عنده عدد عشرين ومايتين فان
اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب
فى رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومايتين بالقلم
الطبيعى المتقدم صفته واكتب فى رقعة اخرى صورة الاعداد
المايتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين الذين قد تباغضا
فانهما يتحابان ومايكون بينهما شر مادامت الرقعتان معهما
فأن لم يمكن ذلك فالق الرقعتين فى حق نظيف واكتب
اسم كل واحد منهما او لقبه المشهور وضع الحق فى موضع يمر
عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر
وسقيت كلا منهما فأنهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم

انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبّة رمّان ومايتين وتطعم
الاخر المبغوض فى ذلك الوقت بعينه مايتين وعشرين حبّة من
الرمّان فانهما يتحابان ومما يؤكد المحبّة فيما ذكر بعض الحكماء
انه اذا وصلت بلّة من ريق كلّ من المتحابين الى معدة الأخر اختلط ذلك
بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كلّ واحد منهما
فى وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهوى
فاذا استنشقاه دخل فى الخياشيم فوصل بعضه الى الدمّاغ فسرى
فيه كسريان النوم فى جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى
القلب فيدب الى العروق الضوارب فى جميع البدن فينعقد من بدن
هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد
المحبّة قال الشيخ مغلطاى وهذا الذى اميل اليه ويوشك
ان يدوم ويثبت ولا يغيره مرّ الليالى وعند الامتحان يكرم
المرء أو يهان فصل اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة
امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانّ حق له فان شاء استوفاه
وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء
تركها وهذا من اضعف الاقوال لانّ القرآن والسنّة والعرف
والقياس يردّه قال الله تعالى ولهنّ مثل الذى عليهن بالمعروف
فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حقّ لها على الزوج بنصّ القرآن
وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضدّ المعروف
ان يكون عنده شابّة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها بأضعاف
مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرّة واحدة ومن زعم انّ هذا
من المعروف كفاه طبعه فى الردّ عليه وقالت طائفة يجب عليه
ان يطأها فى كلّ اربعة اشهر وتخيير المرأة بعد ذلك ان شاءت
تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حقّ فى الوطء اكثر من
ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو امثل من القولين

الأولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف
كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان
يشبعها وطأً اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتاً وكان ابن تيمية
يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حضّ
النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلّق عليه
الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفي بضع احدكم صدقة
ففي هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الأجر وفرح النفس
وذهاب افكارها الرديّة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها
وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع
المواد الرديّة فأن صادف ذلك وجهاً حسناً وخلقاً دمثاً اي
سهلاً وعشقاً وافراً ورغبة تامة واحتساباً للثواب فذلك
اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما اذا وافقت كمالها فأنها لا تكمل
حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر
الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم
بتقبيله واليد بلمسه وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها
ويقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شيء لم تزل النفس
متطلعة اليه منقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك
تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها ولذلك فضّل
جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو ان الليل
وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل
انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل
لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً * وكان محمد بن المنكدر
يدعو في صلاته ويقول اللهم قوّمني ذكري فان فيه صلاح
لأهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي
اهله يقول اللهم شدّ لي صله وارفع لي صدره وسهّل علي

مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك
قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا
خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حوّاء قال يا آدم اسكن
الى زوجك فقالت حوّاء يا آدم ما اطيب هذا ازدنا منه انتهى
الباب الثامن عشر في نعت المعشوق * على الصب
المشوق * وغير ذلك من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على
الجمر * اقول هذا باب عقدناه لذكر المجنى * وقول
المحبوب اليك عنّي * فهو باب لمن مرّ به حلو المذاق * عطر الخلائق
بالاتفاق * لا يعرف طعمه الا من ذاقه * وعرف وصل الحبيب وفراقه
ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب * وتقول ضرب الحبيب
زبيب
شرط المحبة عند رباب الهوى * انا لمليح على التجني نعشق
لا يصدهم صدّ * ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حدّ * فكم
رأوا جور الحبيب عدلا * وقالوا لحذه اذا اقبل اهلا وسهلا *
* لا يأخذهم فيه لومة لائم * ولا يعدّون جور بارد الظلم
من المظالم
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبّة وادّعى
والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي
جبل الحبّ على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لم يسمح
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج
كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف
واحسن ايام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحبّ سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب
وقد زاد النميري على هذا فقال
راحتي في مقالة العذال * وشفائي في قولهم لا تغال

لايطيب الهوى ولايحسن الحب * لصبّ الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال
وقال جميل بن معمر
لاخير في الحبّ وقفا لاتحركه * عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لوكان لي صبرها او عند جزعي * لكنت املك ما آتي وما أدع
ومن ابلغ ما قيل في عنت الاحباب * قول بعض الاعراب في محبوبته
شكوت فقالت كلّ هذا تبرّما * بحبي اراح الله قلبك من حبّي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنوا فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتدّ التباعد من ذنبي
فشكواي توذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي
وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هجر دلال * وهجر ملال * وهجر مكافاة على الذنب * وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور * فأما هجر الدلال * فهو الذي كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم
لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب اخو الحياة ومالم * من لذة حتى تصيب غليلا
وقال المتنبي
واحلى الهوى ما شكّ في الوصل ربّه * وفي الهجر فهو الدهر يخشى ويتقى
وقال ايضا
زيدي اذى هجتي ازدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد
وقال آخر
لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرّني انني خطرت ببالك
ويستحسن من وسيم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل * قليل التبذل * فقد قال بن وكيع

قالوا عشقت كثيرا لتيه ممتنعا * ففلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جادها ان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه
فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لأن النفس
الحرة * لا تتفك عن غيره * وقد قال العباس بن الاحنف
يا قوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لقلى واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد
واما هجر الملال * فيثبطه مرور الايام والليالى * اما بتناءى
الدار * او بطول الاختبار * حتى ان متيم الهاشمية لما
اشتراها على بن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق
انها غضبت عليه فى وقت من الاوقات وتمادت فى غضبها
فترضاها فلم ترض فكتب اليها الأبيات يدعوها الى الملال
وربّ هجر دعا الى الصبر وانما سمى القلب قلبا لتقلبه وقد صدق
عندى قول العباس بن الاحنف
ما أراني الا سأهجر من لا * يرعى ذمامي او يتقى بحسن اخاء
ملني وانقى بحسن اخاء * ما أضر الاخاء بالانسان
فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر
الذى يتولد عن الذنب * فالتوبة تزيله من القلب * عند الاعتراف
بالذنب * ولا سيما اذا كان المحبوب
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله فى المحب وقد اف * لح من كان همه الاتقاء
واما الهجر الذى يوجبه البغض الطبيعى فهو الذى لا دواء
له قال الحصرى وهذا لا يصح بين ذوى الاخلاص * وذوى
الاختصاص * اذ حقيقة المشاكلة تمنعه * وصحة المناسبة
تدفعه * والذى اقوله انا ايضا ان هذا القسم مرضه مما
لا يمكن علاجه * ولا يعذب أحاجه * فالمحبوب فيه لا يلام

* ومحبته كمن يرقص فى الظلام * ويسلم على من لا يرد عليه السلام
احبابكم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به اعداؤه
اخذه الارتجانى فقال

أحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتموا قتلى وانتم أحبتى * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر

يطالبنى قلبى بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذى مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتموا قتلى وانتم أحبتى * اذا فالاعادى واحد والاحبائب

الباب التاسع عشر فى الدعاء على المحبوب * ومافيه من لطف القلوب * كقولى

دعوت على الحبيب بعشق ظبى * يقاسى منه انواع الجفاء
فواصله وبالغ فى صدودى * فكان اذا على نفسى دعائى

اقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه * واراد ان يدعو على روحه فدعا على نفسه * فهو يتشهى ويشتكى * ويتشفى ويشتكى * لا يثبت على حال * ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضى والحال * فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه * وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه * فمن احسن ما قيل فى الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله شعرا * وجعل من الرحيق المختوم شرابه *

اعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك اضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله ايضا

ادام الله ايام الوصال * وخلّد عمرها ثيك الليالى
واسبغ ظل اغصان البدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

وقال علاء الدين على بن المظفر الكندى

ادام الله ايّام العذار * وبارك فى لياليه القصار
واغنى الله روضة كل خدّ * اذا استحيت عن الديم الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تصفو * ثياب العار فى خلع العذار

وقال ابن ابى الحديد

لاعانقتك من البرية كلها * الّا يدى اليمنى وسندكا
كلّا ولا رشفت رضابك بعدما * قد نقته من فيك الّا فاكا

وقال آخر

يا ربّ ان قدّرتم لمقبّل * غيرى فللمسواك او للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يا ربّ فلتك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يا ربّ فليك من عيون النرجس

ومن احسن ما قيل فى الدعآء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما ادعو على هاجرى * الّا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تمّ فى حقى

وقال الآخر

يا ذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
وهمت فيه حتى * اعاد رشدى ضلالا
ادعو عليك وقلبى * يقول يا رب لا لا

وقال الآخر واحسن ما شاء

قد قلت لامتّ حتى * اراك في العشق مثلي
وقلت في السّر منّي * يا ربّ لا تستجب لي

وقال الآخر

ايّها المعرض صفحاً * عن خطابي وجوابي
لا ازال الله عمري * اوبريني بك مابي
ربّ فاجعله دعاء * خائباً غير مجاب
رقّ قلبي ان يرى قد * بك في مثل عذابي

وقال الآخر

يا ربّ ان لم يكن في وصله طمعٌ * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في طرف مقلته واستر ملاحة خدّيه بلحيته

وقال الأخر

كم جفاني فرمت ادعو عليه * فتوقّفتُ ثمّ نادَيتُ ذا هل
لا اشفى الله طرفه من سقام * وارانى عذاره وهو سائل

وقال بن سنا الملك

أُسَرُّ لطول اسرى في يديه * فيغضب اذ أُسَرّ لطول أُسرى
سالت الله ان يبلى بعشق * فيصبح عاشقاً لكن لهجرى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم مابي * وانت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي * وصرت في مثل حالي
بل عشتَ في طيب عيش * تفديك نفسي ومالي
دعوتُ اذ ضاق صدري * عليك ثمّ بدالي

وقوله ايضاً

فَهِمٌ غالطَ منّي فهماً * جاءني يسأل عمّا علما
مُقسماً ما بلغته علّتي * كاذبٌ والله فيما زعما
رزق المظلوم منّا رحمة * ثمّ لا ادعو على من ظلما

وقال ابن منقذ

يا ظالماً يعرض عنّي اذا * دعوت غضبان على ظالمي
اظنّه انّك والّا فلم * تخشى دعاءى دون ذا العالم
يا ربّ لا تسمعه فيرون * كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر

قلت لمحبوبي وقد مرّ بي * محبوبه كالقمر السّارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

وقال الآخر

ولما بدا لى انه غير زائرى * وأنّ هواه ليس عنّى بمنجلى
تمنيت ان يهوى سواى لعله * يقاسى مرارات الهوى فيرقّ لى

الباب العشرون فى الخضوع * وانسكاب الدّموع

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اصبح دمعه مسكوباً على مسكوب * فبات وهو من جريانه كالريح كما قيل انبوبٌ على انبوب * ولا سيّما اذا تمادى الهجر * او كان عليه بعض حجر * هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر * وينشد انا غرم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو * ب فلا وخلت منه الرّبوع
بعث الرّسول وقال لى * وانا السّميع له المطيع
بالله قل لى ما جرى * بعدى فقلت له الدّموع

وقال الآخر

قال لى من أحببت والبين قد جدّ * وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى * قلت ابكى عليك طول الطّريق

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سرّى * وما اطلقت لى بالوصل اجره
ولم ارنى على الأيام الّا * عقدت مودة وحللت صبره

ولا استمطرت سحب العين لا * وصرت بادمعي في الشمس عصره
وقوله ايضا وهو من نثره الذي صبح بين النجوم نثره * فيصير
حتى تنجلي هذه الغمره * وتقلع سحائب هذه السكره *
وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره * فقال
الله البين * ما اكثر فضوله بدخوله بين المحبين * وفي
هذا المعنى الباهر * يقول ابن عبد الظاهر *

لا تسلني عن اول العشق اني * انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك ارخ * ت غرامي تستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الاماق

وقوله ايضا

لا تعذل المشتاق في اشواقه * حتى يكون حشاك في احشائه
انا القتيل مضرجا بدموعهم * مثل القتيل مضرجا بدمائه

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

وقول الآخر

شقت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وقال الآخر في الخضوع * وانسكاب الدموع *

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وعمق الجيد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

وقال ابراهيم بن المعمار

وفي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

وقال الآخر

وقائلة ما بال عينك مذرأت * محاسن هذا الشخص دمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة * فحق لها من فيض دمعها غسل

وقال السّري الرّفاء

بروحي من ردّ التحيّة ضاحكا * فجدّد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه * كأنّ دموع العين تعشقه معي

وقال بن وكيع

وسحاب ذاهمي الماء فيه * أهبَ الرّعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يكُ إلّا * ظلّ يذكي على القلوب الحريقا

وقلت من قصيدة حجازيّة

خليليّ روض الرقمتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازيّ مُذْهب
فلا تعجبا من سحب دمعي اذا همت * فما كل برق لاح للعين خُلّب

وقلت من اخرى حجازيه

جفني القريح على الحذيّن قد وكفا * فحسبه ما جرى من ادمعي وكفا
ان عزّ نظم دموعي حين انثره * فالدّر ما عزّ حتى جاوز الصّدفا
لا تعجبوا من وفاء دمعي غداة جرى * من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا
ما زلت ابكي على وادي العقيق الى * ان قيل هذاك من عينيه قد عفا

وقلت ايضا من قصيدة

بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت في دمعي على صخرها الخنسا
تجرّأت يا دمعي فلم تجر دائما * فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى

وقلت ايضا من قصيدة

ان عيني على العقيق اذا لم * يحك دمعي بلونه حمراء
منذ امسى الجزع من دمعي نضارا * صحّ عندي لعيني الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدّمع لمّا * صار من عاذلي على اجتراء
اطلع الليل ادمعي فوق خدّي * مثلما تطلع النجوم السّماء .

وقلت من قصيده

لئن فترت عيني بجري دموعها * فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاءه * فنهدا الذي حلت بطرفي عاقد

وقلت من قصيد

سقيت بحر الدمع بارد ارضها * وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى * قطعت حبال الدمع من حيث رقت

وقلت من قصيدة

خالفت فيك معنفا ونصيحا * واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فمدامعي * كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صبت على سفح المقطم دمعه * تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا

وقلت ايضا

الطرف من فقد الكرى * يشكو الاسى اليه
والخد من فرط البكى * يا ما جرى عليه

وقلت ايضا

ارحم رحمت لوعتي * وابعث خيالا في الكرى
ودمع عيني لا تسل * عن حاله يا ما جرى

كان المسعودي شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التناوي
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ما ذاك مني * لسلوة وعزاء
لكن دموعي شابت * من طول عمر بكاءي

وقال الاخر

وقائلة ما بال دمعك ابيضا * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكى طال عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دمى * يرين ولكن لوعتي وتحرقي

وقال آخر

وقائلة مابال دمعك اسودا * وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكى * وهذا سواد العين فهو سيل

وقال آخر

كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال الناشئ الاكبر

بكت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الباب الحادي والعشرون في الوعد والامانى *

وما فيهما من راحة المعانى * اقول هذا باب عقدناه لذكر
الامانى التي لابد منها * ولا غناء عنها فلا اقل منها *

اعلل بالمنى قلبي لعلي * أروح بالأماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمني

ولم يزل المحبون يعللون بالامانى نفوسهم * ويترعون براح
راحتها كؤوسهم * فمنهم من فاز بالامنيه * قبل حلول
المنيه * ومنهم من مات باعظم غصه * وما وقع له الجيب
على قصه

من نال من دنياه أمنية * اسقطت الايام منها الألف
وهذا النوع الاخير كثير * والسقيم به من المحبين جم غفير
من كان مرعى عزمه وهموم * روض الامانى لم يزل ممرعا
نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد * بعيدا
من لقاء الرد اعلى ميعاد * يصدق قول الحبيب ويكذبه *
ويمتحنه ويجربه * ويقول

مازلت منتظرا لوعدك سيدي * في البيت ملتفتا لقرع الباب

يا كاذبا في وعده بلسانه * من لي بعض لسانك الكذاب
طالما آيس من وعد المحبوب * وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد
عرقوب * كما قيل

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كأشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف واصل المثل المذكور ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيئا فقال له عرقوب اذا أطلع نخلي فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيئا فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب قال الشماخ

وواعدتني مالا احاول نفعه * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال بن حجاج

فديت من لقيني مسلما * لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتني * فقال لم نفعك يا اشعب

وقلت انا من قصيدة حجازية

يهدّدني بالهجر في كل ليلة * اصدق فيها وصله واكذّب
ولما وردنا ماء مدين قال لي * وحق شعيب انت في الحب اشعب

والناس في الأماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه * فيريح بها النفس * ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس * ومنهم من يقول ليس الترجي مما ينجي فيرى الاماني من الخداع * والوقوع في النزاع * ولكل من القولين حجّه * ومذهب مسلوك لمحجّه * ومن احسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحارث

أمانيّ من سعدى حسان كأنما * سقتنا بها سعدى على ظمإٍ بردا

منى ان يكن حقا يكن احسن المنى * والّا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقول الآخر

ولمّا حللنا منزلا ظلّه الندى * انيقا وبستانا من النور خاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال افلاطون الأمانى حلم المستيقظ وسلوة المحزون
وقال غيره الأمانى رفيق مونس ان لم ينفعك فقد اهلك
وقيل لاعرابى ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصّديق واما انى نقطع بها ايّامك وقال القاضى الفاضل
واحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة
وعادت ايامنا * وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * وعاودتنا
المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا *

امنى تلك الليالى المنيرا * ت وجهد المحبّ ان يتمنى

وقال ياقوت الرّومى

لله ايّام تقضّت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرّت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

وقال الشيخ فتح الدّين بن سيّد النّاس

أصبو الى لبان بانت غنيمتى * تعالا بليالى وصلها فيه
عصر مضى وجلا بيض الصبى قشب * لم يبق من طيبه الّا تمنيه

وقال العفيف اسحاق كاتب الانشاء للنّاصر داود

لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمنى
وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الأمانى مطلق الرسن

وقال ابن خفاجه

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الّا انا ضاحك سنة * ثغور الأمانى فى وجوه المطالب
حسبت الدياجى فيه سود ذوائب * لها عنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

في المنى راحة وان علّتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت انا

رقّ لصبّ غدا مما يكابده * من دمعه الصّب بحر في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يردّدها * لولا المنى مات يا اقصى أمانيه

وقلت ايضا

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا * لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما * اري لداء غرامي في هواه شفا

وقال بن زيدون

لا سرّ حرّ نواظري * في ذلك الروض النضير
ولا أكلنك بالمنى * ولا اشربنك بالضمير

وقال آخر

عللتني بموعد * وامطلي ما حييت به
ودعيني افوز منك * بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وقال آخر

وشادن قلت له * هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

وقال ابو بكر الحاتمي

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى * ما تعدّيته ولو بالمنون
اشتهي ان احلّ في كلّ طرف * لأراه بلحظ كلّ العيون

وقال ايضا

امّا منى قلبي فانت جميعه * يا ليتني اصبحت بعض منالك
يُدني مزارك حين شطّ بك النوى * وهمٌ اكاد به اقبّل فالك

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انّى وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغضّ توهمته نسيم شذاكا
خُدِعٌ للمنى تعللنى فيك * ك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومما احتج به ارباب القول الثانى

واكثر افعال الغوانى اساءة * واكثر ما تلقى الأمانى الكواذبا

وقال الخالدى

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس اموال المفاليس

وقال بن شرف القيروانى

غُلَفٌ تمنوا فى البيوت امانيا * وجميع اعمار اللئام امانى

وقال بن المعتز

لا تأسفنّ من الدّنيا على امل * فليس باقيه الّا مثل ماضيه

وقال على بن ابى طالب كرّم الله وجهه تجنّبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خُوّلتم وتصغّر المواهب التى رُزِقتم وقال لرجل لابن سيرين رأيت كأنّى اسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى * وحكى انّ الحجاج مرّ ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقه فيها لبن وهو يقول متمنّيا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقه وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال ليس لو رفست ابنتى هكذا فجعتنى فيها وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل وقال غيره الأمانى تخدعك وعند الحقايق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن
هناك انشد والامال حاضرة * هنيت بالملك والاحباب والوطن
فوعده الملك المظفر اذا تملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكهم
انشده مولاى هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * فذا أوان الموعد الصادق
فوقع له بالف دينار واقام معه ولزمته اسفار فأنفق فيها
المال الذى اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
ذاك الذى اعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من داركان قد انزله بها فقال
اخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمنى * وان مت تدرى ذكر من سيموت
فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم
الوكيل فأمر بخنقه فلما احس بذلك قال
اعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم اعطيتنى ديتى
قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لأجل قوله حسبى الله
ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
فكان حاله معه كما قيل
فكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى
ولله القائل
ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع اذى * سوف يأتيك الأذى من قبله
ذكرت هنا قول الآخر
لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الأليم

وقال بن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى تفضى
بمزيده ورفضنى من باله * وانت الذى فصلنى قبل ان يستكمل
الوصل مدة حمله وفصاله *
وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمتّ بى من كان فيك يلومُ
لعلّ عينا أصابتنا فلا نظرت * أو واشيا قال فيما بيننا كذبُ
لعلّ عتبك محمودٌ عواقبه * وربّما صحّت الأجسام بالعللِ
لعلّ الرضى منكم وكيف منالهُ * يسرّ فؤادا ساءه منكم الهجرُ
لعلّ صدكم فى النفس يرجع واوُهُ * وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعلّ عاطفة تدنى الى امل * قلبا تحيّر بين اليأس والطمع
لعلّ عين الرضى ممّن كلفت به * يوما تبهرج ما قالته حسّادى
لعلّ زمانا قد تولى سينثنى * الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعلّ ذيول العفو والعفو وسعٌ * يجرّرها الجانى على مفرق الذنب
لعلّ سلوّا للفؤاد يعوده * وذا غلط حاشى فؤادى ان يسلو
لعلّ وما تغنى لعلّ وأنّها * عُلالة صبّ واستراحة هائم
ولا أقلّ من التعلل بلعل * وما أقل غناها وأكثر عناها

الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب * بأيسر
مطلوب * اقول هذا باب عقدناه لذكر المحبّ المطبوع
* والعاشق المقنوع * ممن يقنع من الحبيب بالنظر * اذا حضر
* ويرضى منه بالسلام * ولو مرّة فى العام * فهو فى الرضى منه
بالنزر اليسير كما قيل (قليلك لا يقال له قليل)

انا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعرّى

لا قاك فى العام الذى ولى ولم * يسألك الا قبلة فى القابل
ان البخيل اذا تمدّ له المدى * فى الجود هان عليه بذل الباذل

وقال جميل

اقلب طرفي في السّماء لعله * يوافق طرفي طرفه حين ينظر

وقالت ايضا

وانّي لأرضى من ثيينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرّت بلابله

بلا وبأن لا استطيع وبالمنى * وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا التقى وأوائله

قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف * والعاشق العفيف

قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل * واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل * ومن هذا المعنى المبتز * قول بن المعتز

الست أرى النجم الذي هو طالع * عليها فهذا للمحبّين نافع

عسى يلتقي في الأفق لحظي ولحظها * فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع

والعلم المشهور في هذا الباب * قول بعض الاعراب *

اليس الليل يجمع ام عمرو * وايّانا فذاك بنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النّهار كما علاني

كان الشيخ اثير الدّين ابو حيّان يقول عن صاحب هذه البيتين هذا العاشق القنوع * وقال الآخر

الى الطائر الميمون نظري كلّ ليلة * فأثني اليه بالعشيّة ناظري

عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده * فنشكوا جميعا ما تجنّ الضمائر

وقال بعض الاعراب

وما نلت منها وصلها غير انني * اذا هي بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في طاقة فأحبّها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى ان اعيا وقلّ صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال ادعي سيّدتك تبول في هذه فبالت له في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه

وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل الى ان دخل بعض الخربات فوضع
ابره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق
وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال
لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد ان تكون في ضيافتي
فقال له سليمان انا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة
كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد
الى الجو فصاد جراده وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي
الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده
من ذلك حولا كاملا اخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح

اختلاط الماء بالراح * اقول هذا باب عقدناه لذكر من
افرط في العناق * اذا التفت الساق بالساق * فأصبح هو
ومحبوبه كالشئ الواحد في راى العين * حتى عند الأحول الذي
يرى الشئ شيئين * وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي
قلب صاحبها بالوصال * ولا تنقطع حبال دموعه
بالاتصال * كما قيل

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له * من شدة الحب قد بعدت فاقترب

وقال ابن الرومي

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه رشفا ما حوى الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال آخر

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد

فلو انّ روحى مازجت ثمّ روحه * لقلت ادن منى ايّها المتباعد

وقال ابو الحسين التونسى

ثم اعتنقنا فترانا معا * فى ظلمة الليل ونور العتاب
جسمين صارا فى الهوى واحدا * كشكلتين اختلطا فى كتاب

وقال خالد الكاتب

كأننى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

وقال نفطويه النحوى

ولما التقينا بعد بُعْد بمجلس * نغازل فيه اعين الرجس الغضّ
جعلت اعتمادى ضمه وعناقه * فلم يفترق حتى توهمته بعضى

وما احسن قول ابى بكر الأرّجانى

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا * ليلا وقد بات من اهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب اتى * فمذ رأى واحدا ولّى على حنق

وقال سيف الدّين المشد

ولمّا زار من اهواه ليلا * وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه قصرنا * كأنا واحد فى عقد كاتب

وقال آخر

توهم واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما اتانا ما رأى غير واحد

قال قاضى القضاة كمال الدّين بن العديم لمّا سمع هذين البيتين امسكه امساك أعمى وقال ابو الفضل

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم * بسهم هجرك ترمى ثم تثنينى

ومثل هذا القول فى عدم السّلامة * وتوجيه الملامة * قول بن سنا الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكرة * نبذت وسادي ثمّ وسّدت يدي
وبتنا لحسم واحد من عنافنا * والآ لحرف في الكلام مشدد
لو قال لحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدّد في اللفظ
معدود عند العروضيين بحرفين واما في الخط فلا فعلى هذا
لا يتم له ما اراد * ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد * ولا
عذر له لأن الوزن ساعده واعانه على تحصيل هذه الفائده
وقال بعض شعراء الذخيره
بتنا وراء الحجاب يلحفنا * برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدّة التعانق قد * صارا كفرد بالروح يتصل
لو ان غيث السماء امطرنا * لم يصب الارض تحتنا بلل
قال محمّد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن
غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكره فكان في بعض
ما قاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال قال بقولي
الا ربّ ليل ضمّنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرّب
فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باي
شيء قلت بقولي
الا والمنازل من نجد وليلتنا * بفيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه يوما فما انفك لا خد ولا عضد
والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي
ومربحة الارداف مهضومة الحشا * تمور بسحر عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور
ذكرت بقولي في اول الباب الاحول الذي يرى الشيء شيئين
قول بعض المغاربة في مليح له رقيب احول

بأبي رشا يحوي مع الاحسان * ملكيّة موضوعها انساني
احوى الجفون له رقيب احول * الشئ في ادراكه شيئان
ياليته ترك الذي انا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

وقال بن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذي حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت باحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن او صاف اختها * فعادت بطول الدهر تنظرها شذرا

الباب الرابع والعشرون في عود المحبّ كالخلال *

وظيف الخيال * وما في معنى ذلك من رقة خصر الجبيب
وتشبيه الردف بالكثيب * اقول هذا باب عقدناه
لذكر من ادّى به النحول * الى الذبول * واصبح كالطلل البين
الطلول * فهو من شدّة الضر * كما قال صرّ در *

وكم ناحل بين تلك الخيا * م تحسبه بين اطنابها
فحبوه في الجفاء واحد كالألف * وهو في رقته كالخيال يمشي
الى خلف * ولما رأيتني كعود الخلال * وجسمي كما ينسج العنكبوت
فقالت عوت الى كم تنيك * فقلت نيك الى ان اموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

ألى الهوى سفر يوم النوى بدني * وفرقة الهجر بين الجفن والوسن
روح تردّد في مثل الخلال اذا * اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال ايضا

ولو قلم القيت في شق رأسه * من السقم ما غيّرت من خط كاتب

وقال ايضا

الام طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم * بحولى وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابكم * بكيت على حبى الزائل

وقال المعمار

ترك اصفرار والنحول كلاهما * فى العشق جسمى بذر العشاقا
فكأنما الفى بخط مذهب * جعل الدجى رقى له اوراقا

وقلت انا من قصيدة

كأن ضباب الافق ندسرت به * نسيم الصبا من نحو ارض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم * ولم يبق منه غير صوت وانة

وقال المتنفل

ان جفانى الكرى وواصل قوما * فله العذر فى التخلف عنى
لم يخلى الهوى بجسمى شخصا * فاذا جانى الكرى لم يجدنى

وقال بن لؤلؤ

وأرقنى خيال من حبيب * تناءت داره لما رآنى
فمن سهرى يلم فما أراه * ومن سقمى يطوف فما يرانى

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر

ايها الصائد بالحظ ومن * هو من دون الورى مقتنصى
لا تسم طائر قلبى هربا * انه من اضلعى فى قفصى

وقال مضر المغربى

اذا به الحب حتى لو توهمه * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه

وقال محاسن الشواء

ضنيت وضن من اهوى بوصلى * وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا * وانخالفته صلة وعائد

وقال الأرّجانى

ولولا سناها لم يروني من الضنى * ولا اصبحوا من اجلها خصمائى
ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء

وقال آخر

قد كان لى فيما مضى خاتم * فدق جسمى فتمنطقت به
وزادنى السّقم فلو زجّ بى * فى مقلة النّائم لم ينتبه

وقال ابو العتاهيه

لم يبق الّا القليل فى وما * احسبها تترك الذى بقيا

وقال بن عبد ربّه

رايت العاشقين لهم جسوم * براها الشّوق لو نفخوا لطاروا

وقال آخر

ولمّا ان راى اهلى سقامى * تجاوز حدّه حدّ السّقيم
سددت منافس النّسمات عنى * مخافة ان أطير مع النّسيم

وقال آخر

واذا عائدنا لكلالى * لعبت بى انفاسه فى الفراش

وقال آخر

عبثت به ايدى الضنى فكأنّه * سرّ خفىّ فى ضمير كتوم

وقال ظافر الحداد

اخلنى حبّك يا متلفى * وزادنى الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو مرى بى الهوى * فى ناظر النّاظر لم يطرف

وقال ناصر الدّين الفقعسى

يقول جسمى لنحولى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى يا سقم ما لم يكن * يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط فى هذا السّلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال * واحسن فى المقال

واها على الخصر الرقيق وانما * قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلي له تعنيق
وقال الشيخ صفي الدين الحلي
مليح يغار الغصن عند اهتزازه * وينجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه
قلت اخذه من قول بلديا محمد بن العفيف التلمساني واراد
قصره على الحسن فقصر * وجرى خلفه ليعثر على المعنى فما عثر
عليه بل تعثر * والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر *
والخصر والخنصر * الاترى قول ابن العفيف * وحلاوة
منطقه الظريف
فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعي صونا وهذا جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وقال ايضا
شكوت الى ذاك الجمال صبابتي * تكلف جفني انه قط لا يغفو
فلا انت لي الاعطاف والخصر رقي لي * ولكن تجافى الشعر وانا قل الردف
وقال ايضا
تلاعب الشعر على ردفه * اوقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل
وعلى ذكر الردف ما احسن قول الآخر
للبدر من وجنته نكتة * وفترة في الظبي من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه * كأنه يمشي الى خلفه
وقال الشيخ صفي الدين الحلي في مليح راقص
جاء وفي قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمالي * وثقلت جفنه شمولي
ثم انثنى راقصا بقد * تثنى الى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * ورفه خارج ثقيل

وقال ابن رشيق

أحمل اثقالي على ردفه * وامسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

سالت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو اعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما انا احملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب * وغير ذلك مما يقاسوه من تحمل المشاق * والم الفراق كقوله

شكى الم الفراق الناس قبلي * وروّع بالنوى حيّ ومَيْتُ
واما مثل ما ضمّت ضلوعي * فأني ما سَمِعْتُ ولا رأيت

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحبّ من ركوب الاخطار * في طلب الاوطار * فهو لا يزال مشغولا بحاله * متقلبا تحت احماله * يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال * ما هو اثقل من الجبال * ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال * قال الطغرآءي

ومن طلب الاحبّة كان اسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضى من دون مطلبه حسامه

وقال ايضا

لا اكره الطعنة النجلآء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحبّ فيك وانني * لاعجز عن حمل القميص وصوف

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقال ايضًا

احلى من الشهد من هويت وكم * فتّت به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكّر سُنَيْنَات

وقال آخر

وملیح قال الصفنى * انت فى القول فصيح
قلت قولا باختصار * كلّ ما فيك مليح

وقال ابراهيم المعمار

وملیح قال صفنى حسنى ازداد سرورا.
كم حوى جفنى معنًى * قلت الفا وكسورا

وقال ايضًا

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طُل على خدّه
فاتهم الحاكم لحظاله * يحقق الفتنة من عنده
ومال للحقّ فلمّا راى * قد خرجى مال مع قدّه

وقال خطيب سمهود

قال لى من هويت شبّة قوامى * وقد اهتزّ بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل * صافحته يدُ النسيم فمالا

وقال السراج الورّاق

قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك

وقال آخر

قال لى اهيف المعاطف صفه لى * هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قدّ ولاحواجر لحظيك لغنّت عليه ورق الحمام

وقال النور الاسعردى

قد قنعنا بالخمر والماء والخضرة والاهيف الرشيق القوام

وتركنا مناصب الناس زهدا * فلماذا يؤذوننا بالكلام

وقال بن خفاجة

ومهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا اشدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

وقال كثير عزة

الله اعلم لو اردت زيادة * في حبها عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

* (وقال ايضا) * من ابيات وهو احسن ما قيل في حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد في الكامل

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقال ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت * ودّ المحدث انها لم توجز

وقال ابن حمديس

لا يملّ الحديث منها معادا * كانتشاق الهواء ليس يملّ

وقال ابن ابي الحديد

يا لله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذاكا
واطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثلما اهواكا

وقال آخر

وملبح قلت ما الاسم * رجيبي قال ما لك
قلت صف لي وجهك الزا * هي وصفين اعتدالك
قال كالبدر وكالغص * ن وما اشبه ذلك

وقال العطوي

ذات خدّين ناعمين ضنينين بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير * من غمام وروضة من اقاح
وقال امرؤ القيس
خليلي مرّا بي على ام جندب * نقضّ لبانات الفؤاد المعذّب
المرتريا في كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيّب
وقال النميري واحسن في الوصف
وبيضاء مكسال كعوب خريدة * لذيذ لذي ليل الغمام التزامها
كأنّ وميض البرق بيني وبينها * اذا حان من بعض البيوت ابتسامها
وقال ابن ابي ربيعة
طفلة باردة الصّيف اذا ما * معمعان القيظ اضحى ينقد
سُخنة المشتى لحاف للفتى * تحت ليل حين يغشاه الصرد
وقال المتنبي
ارخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليا الى اربعا
واستقبلت قمر السّماء بوجهها * فارتني القمرين في وقت معا
وقال بن المستوفي الاربلي
رأت قمر السّماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرًا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني
*(قلت) * وللنّاس عليه كلام * ولهم على فهمه زحام * حتى
ان بعضهم وضع فيه كتابا وقال آخر
بروحي وجسمي ذلك العارض الذي * غدا مسكه فوق السّوالف سائلا
دري حذها اني لجنّ من الهوى * فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا
وقال سعد الدين محمّد بن عرنى
لما تبدّا عارضاه في نمط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط * وقال قوم انها اللام فقط
وقال آخر

رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر

برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
ابكي فأنظر ادمعي في خدها * نجري فاحسب انها تتكلل

وقال ابن قلاقس

فوق خدّيك دليلٌ * انّ نهديك ثمارُ
ما اختفى الرمّان الا * وتبدّى للجلّنارُ

وقال الخبزارزي

رايت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورّد في الوجنتين * وما راعني من سوادِ الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظنّ الحبيب القمر

وقال محمّد السلامي

بدايع الحسن فيه مفترقه * واعين الناس فيه متفقه
سهام لحاظه مفوقة * فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته * هذا مليح وحق من خلقه

وقال ابن رشيق

معتدل القامة والقدّ * مورّد الوجنة والخدّ
قل للذي يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمدِ

وقال ايضًا

شكوت بالحب الى ظالمي * فقال لي مستهزئاً ما هو
قلت غرام ثابت قال لي * اقرأ عليه قل هو الله

وقال شيخ الشيوخ بحماة

سألته من ريقه شربة * اشفي بها من كبدي حرّه
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجرّه

وقال

وقال يحيى الخباز

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوش شاليش وقد لاختشى * ان يتتبع الشاليش بالقلب

وقال ــــ بن اسد

اريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

وقال السراج الورّاق

* قال من شبّه ريقى * بالزلال العذب زلّا *
* انما ريقى شهدٌ * قلت ذا من فيك احلا *

وقال آخر

ظبى تربى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال آخر

ما انصفوا اذ لقبوه شاربًا * من بعدما امسى لقلبى آكلا

وقلت انا

ياصاح سكرى من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا
ساقٍ منى مالح لى كأسه * ذكرنى شاربه الآسا

وقلت ايضًا

فتاة حين زارتنى عشاء * رأيت الشمس ليلا وسط داري
فورد خدودها ما لاح الا * واحرق عاشقيه بحلّ نار
فصف لى شعرها ليلا وطولا * وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لنا مراشفها عقارًا * قريب العهد من كأس مدار

ومنها

عذرتك يا عذول فيه قل لى * اذا لاح العذار فما اعتذارى
كأنك ما شعرت بان حبّى * غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخطّ * قريب الشكل من قلم الغبار

سقانى من مقبّله شرابا * طهورًا المريد نشّ باعتصار
واعقب وصله هجرا فقلبى * على حرف من الهجران هار
اذا ما قادنى يومًا هواه * مشيت وقطر دمعى كالقطار
ايظمينى بخفض العيش دهرى * وجرّ الدمع فيه على الجوار

وقلت ايضًا من قصيدة امدح بها مولانا السّلطان حسن

ترادفت النهانى والسّرور * وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح * وافراح ولحبّاك حضور
بروج الافق فيها فرد بدر * وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ فى دجاها * فما نامت ولا فتر الفتور

ومنها

اغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفّه فيها الستور
اذا انشرت ذوائبها تبدّى * لميت الحبّ فى الدّنيا نشور
لها ثغر يصون الدّرّ لمّا * يثبت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصّبح لمّا * يلوح وبينه فرق كبير

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر فطرف نيسير من اخبار المطربين المجيدين * من الرجال * وذوات الجحال * وما فى معنى ذلك * من ذكر موالاتهم * ووصف آلاتهم * (اقول) * هذا باب عقدناه للنكر من استراح من العناء * بسماع الغناء * من كلّ محبّ يشبّب بالشباب * ويغنّى بالرباب * فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشئ وضدّه لايلهيه عنه ملاهيه ولاسيّما اذا كان فى الغناء ممّن يعرف الصّواب * ويقيم الاعراب * ويشبع الالحان * ويعدّل الاوزان * ويصيب اجناس الايقاع * ويعطى النغم حقّه من الاشباع *

ويختلس مواضع النبرات * وليستوفى ماشاكلها من النقرات
* ويحسن الاختلاس * ويملأ الانفاس * وغير ذلك
مما هو معروف عند ارباب هذا الشان من القيان * ممن جمع
فى ذلك بين الحسن والاحسان * (كما قيل
ما تفنّنت الانفرّج هـم * عن فؤادي واقلعت احزانُ
يفضل المسمعين طيبًا وحسنا * مثلما يفضل السماعَ العيانُ
والناس فى الغناء كلهم عبيد معبد واسحاق الموصلى الذين
هما اطبع المتقدّمين فى الغناء فيما حكاه غير واحد من
ارباب التاريخ وفى معبد يقول حبيب
محاسن اوصاف المغنّيين جمةٌ * وما قصبات السبق الا لمعبد
* وقال * البحترى يصف صهيل فرس
هزج الصهيل كأنّ فى نغماته * نبرات معبد فى الصهيل الاوّل
* (ومعبد) * هذا كان منقطعًا الى البرامكة ومات فى ايام
الرشيد واخباره اشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغانى
وغيره * (واما اسحاق الموصلى) * فانه كان من اهل العلم
والادب والرواية والتقدم فى الشعر وسائر المحاسن
اشهر من اين يوصف وهو الذى صحح اجناس الغناء وميز
طرائقها تمييزا لم يقدر عليه احد قبله ولا بعده من
تدقيق المجارى وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا
واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تعترف عند متيقظ
مثله ومن كلامه حدود الغناء اربعة النغم والتأليف والايقاع
والقسمة * (وكان) * قد سأل المأمون ان يكون مدخوله مع
اهل العلم والادب لا مع المغنّين فاذا اراده للغناء دعاه فاجابه
الى ذلك * (وقال) * الواثق ما غنانى اسحاق قط الا ظننت
انه زيد فى ملكى وان اسحاق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ

احد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لشربته له بشطر
ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من
حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحاق فلم يأخذه
منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك اقداحا تسلسلها * من الشمول واتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته * بعد الهجوع كمسك او كفتاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشأ * تقبيل راحته اشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زي غلام عليها اقبية
ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكل ما معها
فى داره ومما لحنه اسحاق وله حكاية ظريفه

* قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا *
* قد بلغت الذى ارد * ت وان كنت لاعبا *
* واعترفنا بما ادعيـ * ـت وان كنت كاذبا *

*(وقد تركت) * حكاية هذه الابيات خوف الاطالة
وهذا القدر كاف فى اخبار اسحاق فى هذا الموضع وحكى ابو
الفرج انه اهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها
فى قصره يوما واضطجع فكان من حضر من جواريه للغناء
والخدمة ما يزيد عن الف جارية فى احسن زي من الثياب
والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وارسلت
الى عليه اخت الرشيد تشتكوا اليها فارسلت اليها عليه
لا يغيظك هذا فوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان اصنع
شعرا واصوغ عليه لحنا واطرحه الى جواري فابعثى الى
كل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب والجواهر حتى القى
عليهن الصوت مع جواري ففعلت ام جعفر ما امرتها به
عليه فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت

عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفي جارية عليهن غرائب اللباس
وكلهن في نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عني وما * قلبي عنه منفصل
يا قاطعي قل لي لمن * نويت بعدي ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل ام جعفر
ومعه علية وهو في غاية السرور وقال لم ار كاليوم سرورا قط وقال
لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره
في ذلك اليوم ستة الاف الف درهم وما سمع بمثل ذلك قط * وحكى
عن القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة
وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبره فعزم عليه في المبيت
اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيبك لثامك الافداح * وزهابحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس اسبلت ظلماءها * فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رايته
يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده وما احسن
قول ابن تميم في عوّاده

وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر

سقى الله ارضا انبتت عودك الذي * زكت منه اغصان وطابت مغارس
فغنى عليه الطير والعود اخضر * وغنى عليه العيد والعود يابس

وقال ابن قاضي ميلة

جاءت بعود ينا غيها ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه اوبه طرب * يهيّجه الاعجمان الطير والوتر

وقال ابن حجّاج

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحسان مسرورُ
اذا انثنت وتغنّت خلت قامتها * غصنًا عليه قبيل الصبح شخرور

وقال آخر

وجارية اذا غنّتك صوتًا * فما لك من فراق الحلم بدّ
كأنّ يسارها في العود برق * ويُمناها اذا ضربته رعدُ

وقال آخر

اشارت باطراف لطاف كأنّها * انابيب درٍّ قمّعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسّا كأنّها * بنان طبيب في مجسّ عروق

وقال النور الاسعردي في جنكيّة

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو باصناف الحان الورى هازي
لا غرو ان صاد ألباب الرجال لها * امّا تراه يحاكي مخلب البازي

وقال الصّلاح الاربلي واحسن ما شاء

الجنك مركب عقل في تشكّله * والرقّ قلع له والاوتار اطناب
يجري بريح اشتياق في بحار هوى * يؤمّ ساحل وصل فيه احباب

وقال ابن دانيال في دَفّيّة

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا * لو مرّ يومًا عليه طائر صدحا
تبدي على الدفّ كالجمار معصمها * لنقرة ببنان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الريح تمزجه * فما يُنقّط الا كل من رشحا

وقال ابن عديم في مغنّية

والله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما ادّخروا فيها وما صانوا
ما انت حين تغنّي في مجالسهم * الا نسيم الصّبا والقوم اغصان

وقلت انا

وغانيةٍ مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد

اذاما اطربتنا بالمثاني * تثنّت بين رمّان النهودِ
تغار السّمر منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرودِ
باطراف من الحنّاء حمرٍ * والحاظٍ كبيض الهند سودِ
سوالفها من الريحان اطرى * يواخيها الشقيق من الخدودِ

وقال آخر

بابي اغاني مطرب * ابدًا وترضاه النفوسُ
يشدو وفنزونا بالكؤ * سِ له ونرقص بالرؤس

وقال آخر

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب النّاس افراحا
كان اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات ارواحا

وقال آخر في مشبّب

ومطرب قد رأينا في انامله * شبابة لسرور النفس اهلالها
كانّه عاشق وافت حبيبته * فضمّها بيديه ثم قبّلها

وقال بن قرناصٍ في مليح مشبّب

مشيبٌ بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تسبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقلت انا

رعى الله ارباب اليراع فانّهم * ازاحوا عتذاري عنهم بالهوى العذري
مواصيلهم من نغمهم كل ساعة * جلبنا الهوى من حيث ادري ولا ادري

وقلت ايضًا ملغزًا في شبّابه

وماخرساء ان نطقت رأينا * تناقض فعلها امرًا عجيبا
منقبة وليس لها ازارٌ * توافينا ولم تخش الرقيبا
فتاة ان خلوت بها وصحبي * رأيتهم معي فيها نصيبا
ينازعني هواها كل صبٍّ * وان لم تشبه الرشأ الربيبا
فكم من عاشقٍ فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا

تجدد لي اذا نطقت سرورًا * يعيد زماني البالي قشيبا
ارق من النسيم الرطب صوتًا * واسرع في الورى منه هبوبا
تغازله ايمًا بعيون * يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومي اذا ما هممت فيها * وانشدني من الشعر الغريبا
وشبب لي بها ابدًا وقل لي * ضروب الناس عشاقًا ضروبا
فاعذرهم محبًا ذو ملال * واعذرهم اشبههم حبيبا

وقال المصيصي الخياط يمجو عوادًا

واذا تربع لا تربع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جزاء المدينة كلها * في عوده يقرضن خبزًا يابسا

وقال آخر

غنى ابو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم في حل

وابلغ ما قيل في ذم المغني قول كشاجم

ومغن بارد النغمة مختل اليدين
ما راه احد في * دار قوم مرتين

وقال آخر

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتًا * فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى القوادمنا

وقال آخر

مغنية سوء الفاظها * يميت السرور ويحيي الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة * فلا للنكاح ولا للطرب

وقال آخر

ولربت زامرة يهيج زمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهتها نملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

بخناقس قصدت كنيفا واعتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

هذا مثل قولهم فى المثل ابصر الحامل والمحمول ودار الوكالة وقال آخر

كأنها فى حالة العيان * خناقس دبت على ثعبان

وما احسن قول الوجيه الدرى فيمن يغنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تبعثوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب

طورًا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينب

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر من ابتلى من اهل الزمان * بحب النساء والغلمان * اقول

هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ماهم * تعرفهم بسيماهم * فمنهم من اتصف بالانضاف * وسلك طريقة السلف فى العفاف * وهذا النوع فيما يظهر * اعز من الكبريت الاحمر * لمراره ولا رايت من رآه * وان وجد اسمه فاين مسماه

فاشهد بصدق مقالتى * اولا فكذبنى بواحيد

هيهات بل فصارى اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويبلوا العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور ببدارها حولا يفرخ ان رآى من راها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشتكوا حبًا ولم ينشدا شعرًا وقام اليها كأنه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا * الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت
العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف
هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت
يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد وسئل اعرابي عن ذلك
فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من اطايب الحديث
بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العض
الشديد * والجمع بين الركبة والوريد * ورهز يوقظ
النيام * ويوجب الآثام * فقال تالله ما يفعل هذا
العدو فكيف الحبيب * قلت وقد تقدم ان الملوك
ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق
ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه * وهنالك
طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم
بصنائعهم وطبقة اخرى يخلون بادياتهم وعقولهم
عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى
هولاء فان عشقهم عرض من الاعراض * بل مرض من الامراض * اذا وصلوا
اليه اسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر
العمر وهذا هو الغالب على اهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحب
اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عند الشغل ويحدث عنه
غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة
وامرض صاحبه سهل اذ هو يسلوا بالحفاء * ويجب بقليل
الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفا بالبولة
جمره فمن اهل هذا العصر * من اقتصر على دميه القصر *
فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار *
وقال للسلو عن وجنته الحمراء النار ولا العار *
ومنهم من قرن بين الفريقين * وجمع من المذكر

والمؤنث بين الضدين * فتراه يأتي على ما حضر * ولا يتوقف
عند صورة من الصور كما قيل
انا الرجل البصير بكل امر * دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي * ولا يأبى مواصلة الكعاب
وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال
أعشق المرد والنكاريش والشيب * وعندي مثل البنين البنات
حد ما ينتهي ويعشق عندي * حيوان تحل فيه الحياة
وقال ايضا
انا من قولي مليح * او قبيح مستريح
كل من يمشي على وجه الثرى عندي مليح
حد ما ينكح عندي * حيوان فيه روح
وقال بن نمير مضمنا
ومعشر عذلوا لما ركبت على * هواي محاسنه فتحمن فعلهم
دع يعذلوا ما استطاعوا انني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم
وقال بعض مشايخ العصر
وعارض قد لام في عارض * وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه * فقلت لا افكر في ذقنه
وقال ايضا
شيب وجدي بشايب * من سنا البدر اوجه
كلما شاب ينحني * بيض الله وجهه
وقال ايضا بعض مشايخ العصر
وقد عنفوني في هواه بقولهم * ستطلع منه الدقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع * وحقكم بالوجد فيه الى الذقن
وقال ايضا بعض مشايخ العصر
وكامل العارض قبلته * فصد عني وازور من قبلتي

وقال كم انهاك عن فعل اذا * وانت مَا تفكر فى نحيتى

وكتبتا انا الى بعضهم

ليهنئ مولانا حبيب لم يزل * بوصله فى كل حين نحسنا

كمر زينته لحية فى وجهه * انبتها الله نباتا حسنا

فكتب الى الجواب عن ذلك

يا مَادحًا للحية سلوانتا * عن روضها لما زهالن يحسنا

مذ انبتت فيه نباتا حسنًا * قبلتها منه قبولا حسنا

فكان كما قيل

حاشا لمثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب

اهواه طفلا فى القماط وامردًا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال ايضًا بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخًا

كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

اخو العقل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من رقيب ومن ضدّ

وقالوا الورى قد شان فى شرعة الهوى * لثوب اللحى ناس وناس الى المرد

فقلت لهم لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القدّ

وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فاثرت ان ابقى بابيضهم وحدي

وقال آخر وقد عشق عجوزًا

كلفت بها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

قال يا قوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصّه بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر

كتبت العذار على صحيفة خدّه * سطرا يلوح لناظر المتأمّل

بالغت فى استخراجه فوجدته * لا راى الا رأي اهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فمن رأيته لا يخرج عن هذا المذهب فلا ادري لم يخصّ به اهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادّعى يا قوت من كلّ وجهٍ لان مجرّد

الميل الى الذكر لا تخلوا منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك
بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما والوا الى من فى عذاره شيب
ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم
يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقد موا بهذا من
بين اهل البلاد هم واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطى
فليستسنا الا لمن ينفقها على عايلته ووليداته ما نعطيها لمن
يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية
فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى
اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة
قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق * ايمة الفساق * تالكى الذكران
وتاركى النسوان * وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون *
وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون * وكيف جمع
عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين *
وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتاخرين *
قال لما تجرأوا على هذه المعصية وتمردوا وفجروا الاخوانهم
طريقا وقاموا بها وقعدوا ضحت الملائكة الى الله من ذلك
صحيحا * وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا * وهربت
الملائكة الى اقطار السموات * وشكتهم الى جميع المخلوقات *
وهو سبحانه قد حكم انه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة
عليهم * والتقدم بالوعد والوعيد اليهم * فلما خالفوا الرسول
المرسل اليهم * ووقعت الحجة عليهم * فعل الله تعالى بهم
ما اخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما
هى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور *
وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

قوله لما تجرأوا هذا اول قول الشيخ وكرر قال ثانيا للتاكيد والتنبيه على التثبت

فان لم يكونوا قوم لوطٍ بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلةٍ وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم * الم يتّعدكم ربّكم بوعيد
فقالوا بلى لكنّكم قد سننتم * صراط الغي في العشق غير حميد
اتيناه الذكران من عشقنا لهم * فاوردنا ذا العشق شرّ ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من * متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلّنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلّنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد

قوله مهلة اي واحدة المهل وقيل هو دردي النبيذ وقيل النحاس المذاب وقيل غير ذلك

حكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلّكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع

صلّى الاله على لوط وشيعته * اباعبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلا شك بقيّتهم * منذ احتملت وقد جاوزت سبعينا

قال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان اثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شرّ حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره واثقله قال له عجّل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى انّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط

* (فصل) * في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد ابن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم ان يحدّ الرّجل النظر الى الغلام الامرد وكان
سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلحّ بالنظر الى غلام امرد
فاتّهموه وصرّح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى
وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد
الرحمن بن وافد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلّم لا تجالسوا اولاد الملوك فانّ الانفس تتشاق اليهم
ما لا تتشاق الى الجواري العواتق وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري
وغيرهم من السّلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي
مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء حكى عن ابي سعيد الخرّاز
وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت
ابليس في منامي وهو يمرّ عليّ ناحية فقلت تعال فقال اي شيء عمل
بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما تخادع به النّاس قلت وما هو
قال الدنيا ثم قال عبر ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة
الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال انا ما اخاف من العصا انما
اخاف من نور القلب قال الفتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا من الابدال
كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الحلاّد
قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى
يعذّب الله هذه الصّورة بالنار فقال او نظرت اليه سوفّ ترى
عجبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم انّ
النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال تعالى عن عشّاق
الصّور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر
والعشق هو سكر ذلك الشّراب وسكر العشق اعظم من سكر
الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات
سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى يفيق فتىً به سكران
انشدني بعض مشايخ العصر

يامن غدا بالمرد ذا الوعة * ما انت فى حبهم بالمصيب
فى الخرد العين الذى تشتهى * منهم ويفضلن بحب الحبيب

وقال آخر

حبك الغلمان امسكنك النسوان غبن
انما يفسق فى الظهر اذا اعوز بطن

على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه * مما لا يدرك تالافيه * وقد ثبت فى الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء قلت ولا سيما نساء هذا الزمان * من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرنى شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب او الطاق كما قيل فى معنى ذلك

شغل بالمرد يا لبدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فعذاء يا معشر الفساق

وحكى عن بعضهم انه قال لجارية نساحق ارجعى الى الحق فقالت الحق بعض مرادى تريدان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان يقال فى حقها

معرمة بالسحاق اضحت * تبكى عليه بكل عين
فما اتقت فى الهتوك الا * تضيق اسحاق فى حسين

حكى ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحاق فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى رجال ورجال وقال شيخنا زين الدين ابن الوردى فى نساء اهل العصر هذا الشعر فقال

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله وما فيه خير
اخطأت يا كاملة الحسن اذ * اقمت اسحاق مقام الزبير

وقال آخر

قل لمن تدّعي السّحا * قالي كم تسا حقي
ليس يشفي غليلك * من جميع الخلايق
غير ذا الاصلع الفقير * الحليق الجوالق

وقال ابن سناء الملك

ياهذه لا تستحي * مني قد انكشف الغطى
ان كان كسّك قد تثا * وب ان ايري قد تمطى

وقال بعض مشايخ العصر

ايري اذا اندبته * لحاجة تختصّ بي
قام لها بنفسه * ما هو الا عصبي

وسألني بعض الاصحاب ان انظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله واتوب اليه

تأخّرت لحيضها * قلت لها تقدّمي
ايري هذا عصبي * يدخل معد في الدم

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رأيت ولو عجوزًا * يبادر بالقيام على الحرارة
فأصبح لا يقوم لبدر تمّ * كأنّ النحس قد ولّى الوزارة

وقلت انا

يا ايران مرّ الحبيب مسلمًا * وبشارنحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تنك احمقًا * ما في وقوفك ساعة من باس

وقلت ايضًا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى في الصّيام الحبّ نشدني * ايري وقال اشترط ما شئت واحتكم
فالامر اوسع ما عندك فمخالفة * ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

وحكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان بعد ان ردّ قول بعضهم

ولقد قال لى صديق لى * ان رانى اضر فى الاد فلاس
قم تسكم بذا العمود فهذا ال * ايز يزجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى * اهلك كلهم لئام خساس
اين من كان عندهم يرفع الاير على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقادير الايور الكبار مات الناس
فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات
مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قيم الشام فكتب تحتها
من خلف مثلك مامات وقال آخر
زعموا انى حسرت عليها * ليت شعرى من اين تلك الحسره
من معل من ضيعتى من قماشى * من بقايا اموال تلك التجاره
حضرتنى فقام ايرى اذ ذاك * لك يحاكى قطينة او خياره
وقال آخر
ويحك يا ايرى اما تستحى * تخجلنى ما بين جلاسى
تطلع من طوقى كذا عامدا * تنكس العمة عن راسى
وقال بن مطروح
سألت من امرضنى * فى قبلة تشفى الالم
فقال لا لا ابدا * قلت له نعم نعم
فقال عضبا قلت لا * الا سماحا وكرم
قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم
قال فخذها بالرضى * منى حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

الباب الثلاثون

فى ذكر من اتصف بالعفاف * بأحسن الاوصاف * اقول
هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا * واظهرهم
دليلا * واحسنهم سيره * وازكاهم سريره * واعفهم

مع القدره * ولاسيّما بنو عذره * الذين هم اشدّ النّاس
غرامًا * واعظمهم هُياما * فلذلك قلت واقول العشق
مع العفّه في بني عذره كثير * والمقتول منهم عشقا جمّ غفير *
فاذا ذكر احدهم بالعفّة فحميل جميل الصفات *
صادق العزمات * وسنورد من اخباره في هذا المقام
ما يصدّق هذه الدعوى * ويحقق ان التسلّي بالمحبوب
عن غيره ضرب من السّلوى * فمن ذلك ما حكاه محمّد بن
جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه
فدخل عليه العبّاس بن سهل فقال له جميل ما تقول
في رجل لم يشرب الخمر قطّ ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق
يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنّه قد نجا وارجو
له الجنّة فمن هذا الرجل قال انا فقلت له ما احسبك
سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال انّي
لفي اوّل يوم من ايام الاخرة وآخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتني
شفاعة محمّد يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها
لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة
ومن غريب ما حكاه الزبير من اخبار جميل
ان بثينة المذكورة من بني عذره وبنو عذره قبيلة مشهورة
بالعشق في قبايل العرب واليهم ينسب الهوى العذري
لانهم اشدّ سائر خلق الله عشقا قال سعيد
ابن عقبة لاعرابي ممّن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا
قال عذري وربّ الكعبة ثمّ قال ولم ذلك قال لانّ في نسائنا
صباحة وفي فتياننا عفة وقال رجل لعروة بن حزام يا هذا
بالله اصحيح ما يُقال عنكم انكم ارقّ النّاس قلوبا قال نعم
والله لقد تركت ثلاثين شابّا في الحيّ قد خامرهم الموت

مالهم داء الا الحبّ وقال رجل من بنى فزاره لرجل من
بنى عذرة تعدّون موتكم بالحبّ مزيّة وفضيلة وانما ذلك
ضعف بنية وضيق روية ورقّ وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة
فقال له والله لو رايتم النواظر الدعج * من فوقها الحواجب الزج *
من تحتها المباسم القلج * والمشفاة السّمر * تفترعن الثنايا
الغرّ * لا تخذتموها اللات والعزّى ثم انشد
تتبّعت مرمى الوحش حتى رمينني * من النبل الا بالطائيشات الخوطف
ضعائف يقتلن الرّجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وقيل لبعضهم ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحبّ فقال
اجلّ الخمار * واحرّم ما وراء الازار * واظهر للحبّ *
ما يرضى الربّ * وقال الحافظ ابو محمّد الاموى
ان امرأة يثق بها حدّثته ان فتى علقها وعلقته وشاع
امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقالت لها هلمّى نحقق ما يقال
فينا فقالت لا والله لا كان هذا ابدا وانا اقرأ الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين وقيل لبعضهم وقد
طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع ان ظفرت بها
ولا يراكما الا الله قال والله لاجعلته اهون الناظرين لا افعل
بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل ولحظ
من بعيد واترك ما يكره الربّ ويفسد الحبّ وقيل
لآخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال اضمّها واقبّلها
وعصيان الشيطان فى اثمها * ولا افسد عشق عشرين سنة
بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها الى ان فعلت هذا للئيم *
ولم يلدنى كريم * قلت وممّن اتصف من
العفاف * باحسن الاوصاف * من الخلفاء هارون
الرشيد وذلك انه عشق جارية فلمّا راودها عن نفسها قالت

ان ابائك المربي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه
فكان ينشد
آرى ماء وبى عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود
فقال له القاضى وكلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد
ما فوق الخلافه مرتبه فانظرها احسن عفة الجارية وامتناع
هارون الرشيد مع شدة شغفه بها ودخل عليه منصور
ابن عمار فاستدناه حتى الصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور
يا امير المؤمنين تواضعك فى شرفك * احب الينا من شرفك *
فقال عظنى فقال من عف فى جماله * وواسى من ماله * وعدل
فى سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدنى
فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا اكنت
تشتريها به قال نعم فلو تعسرت عليك بعد شربها اكنت تشترى
خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال فتح الله دنيا تشترى بشربة
ماء وبولة وحكى عن السلطان ملك شاه السلجوقى انه
حضرت بين يديه مغنية فاعجب بها واستطاب غناءها فهم بها
فقالت يا سلطان العالم انى اغار على هذا الوجه المليح الجميل ان
يعذب بالنار وان الحلال ايسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال
صدقت واستدعى القاضى وتزوجها واقامت فى عصمته حتى
مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين
الشهيد ان السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار
وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الى وكنت قد ربيت
السلطان فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى
مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركنى
ايامًا وقال احضره مع المماليك يقف فى الخدمة كل يوم فلما
كان بعد ايام قال احضره بعد العشاء الى الخيمة وانت واياه

على باب البرج فقلت فى نفسى هذا الشيخ فى زمان شبابه ما ارتكب
كبيرة ولما كبر سنّه يقع فيها والله لاقتلنّه قبل ان يقع
فى المعصية فأخذت كتاره فاصلحتها وجئت بالمملوك وانا فى قلق
فسهرت عامة الليل ونور الدين فى اعلى البرج ثم غلبتنى عينى
فنمت ثم استيقظت فوقعت يدى على وجه الغلام فاذا به مثل
الجمر وعليه حمّى شديدة فرجعت به الى خيمتى واحضرت
الطبيب فمات وقت الظهر فغسّلته وكفّنته ودفنته فدعانى
نور الدين فى اليوم الثانى وقال يا سهيل ان بعض الظنّ اثم فاستحى
فقال قد عرفت حالى وانت ربّيتنى هل عثرت لى على زلّة قلت
حاشا لله قال فلم حملت الكتارة وحدثتك نفسك بالسّوء انا
مغضوم لما رأيت المملوك وقع فى قلبى منه مثل النار فقلت
اشترته لعلّه يذهب عنى ما انا فيه فلم يذهب فقالت لى نفسى
اريد كل يوم ان اراه فأمرتك باحضاره فقالت تريد ان تحضره
الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلمّا حضر ما تركتنى النفس
انام وبقينا فى حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندى
فتداركنى الله برحمته فكشفت رأسى وقلت الهى عبدك محمود
المجاهد فى سبيلك الذّاب عن دين نبيّك صلى الله عليه وسلم
الذى عمر المساجد والمدارس والرّبط تختم اعماله بمثل هذا
فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث
به حدث وامّا انت فجزاك الله عنى خيرا والله ان القتل عندك
اهون من المعصية ثم احسن الىّ (وحكى) عن فاطمة بنت
الخثعمى انّها دعت عند الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله
عليه وسلم الى نفسها للنور الذى رأته بين عينيه فابى وقال

اما الحرام فالممات دونه * والحلّ لا حلّ فاستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ح كارة وفى نسخة كمادة والمراد الفكالدبة

قلت اقصّة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم فالمثل
واحد يشتهى المتين وآخر يقطفه فحاله مَعَهما كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو
حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وانشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس لها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جُنّا بليلى وهى جُنّت بغيرنا * ولاخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الاخر

عَلّقتها عَرَضًا وعَلّقت رجلًا * غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل

(وممّن) اتصف بالعفاف من ذوى الغرام الامام بن الامام محمّد
ابن داود الظاهرى وله فى ذلك حكايات مشهوره وهذا موضع
ايرادها * ونشر آبْرَادها * من ذلك قوله لكل شئ زكاة وزكاة
الوجه الحسن امكان اهل العفة من النظر اليه وحكى محبوبه
محمّد وقيل اسمه وهب ابن جامع الصيد لانى انه دخل على امير
المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رايت منه ما تكره فقال
لا يا امير المؤمنين الّا انى بت عنده ليلة فكان يكشف عن
وجهى ثمّ يقول اللهمّ انت تعلم انى احبته وانى ارا قبك فيه قال
فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمّام فلمّا خرجت نظرت
فى المرآة فاستحسنت صورتى فوقما عهدت فغطيت وجهى
واليت ان لا ينظر احد الى وجهى قبله وبادرت اليه فلمّا رآنى
مغطّى الوجه خاف ان يكون لحقنى آفة فقال ما الخبر فقلت
رايت السّاعة وجهى فى المرآة فاحببت ان لا يراه احد قبلك
فغشى عليه قال الليث بن سكرة كان محمّد بن واسع ينفق على
محمّد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على
عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو

فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا
من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق
حكاية غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود
قد وضع كتاب الزهرة لأجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو
مجموع ادب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال في اوله
وكيف تنكرت من تغير الزمان وانت احد مغيريه * ومن
جفاء الاخوان وانت المقدم فيه * ومن عجيب ما تأتي به الايام
ظالم يتظلم * وغابن يتندم * ومطاع يستظهر * وغالب
يستنصر * ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ
دخلت الكتاب * وبدأت في كتاب الزهرة وانا في الكتاب * ونظر
ابي في اكثره ومن لطف ما حكي عنه انه التقى هو وابو العباس بن
سريج في مجلس ابي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة
من الايلاء فقال له ابن سريج انت بقولك من كثرت لحظاته دامت
حسراته احذق من ان تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود
ان قلت ذلك فاني اقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن متترجم خاطري * فلولا اختلاسي ردة لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلستاري حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج فبم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالغنج من لحظاته * قد بت امنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه * واكر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولي بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه ايها الوزير ما اقربه من الاجتماع
حتى يقيم البينة بشاهدي عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمك

فى هذا ما يلزمك فى قولك انزه فى روض المحاسن مقلتى * ولمنع نفسى ان تنال محرما * قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن) لطيف ما يحكى عن محمد ايضا ما حكاه ابو القاسم الصايغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأيانى تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب فى الفرقة بين المتحابين فدخل على ثعلب فقال له اسمعنا شيأ من صبوتك فانشد

سقى الله ايامًا لنا وليالىًا * لهن بأكناف الشبيبة ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غايب

ومن شعره

لكل امرئ ضيف يسر بقربه * ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلى كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسأل عن كيف

وقال بن السراج فى كتاب مصارع العشاق وعن ابى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذى مات فيه فقلت كيف نجدك فقال حبيب من تعلم او رشئ ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى ابى قال حدثنى سويد بن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن ابى يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى الدعج فى ظرفه الساجى

وانظر الى الشعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دبّ في عاج

وانشدنا لنفسه

مالهم انكروا سوادا بخديه * ولم ينكروا سواد العيون

ان يكن عيب خدّه بذر الشعر * فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس في العفة واثبته في الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات في ليلته رحمه الله قلت وقد اختلف الناس في قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعفّ الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصري لحبّ فكتم ووصل فعفّ وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب لحدرواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبّه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي في كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يردّ بها يعني قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قلت ولهذا عدّ جماعة من الفقهاء ميّت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيي الدين النووي فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميّت عشقا والميتة طلاقا يعني من الشهداء هذا مع شدّته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودمع القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد التاجي

اذا مات المحبّ جوى وعشقا * فتلك شهادة يا صاح حقّا

رَواه لنا ثِقَاةٌ عن ثِقاةٍ * الى الحسين بن عبّاس نرقّ

وقال عبد الكريم القشيري

انّ المحبّ اذا توفّي صابرًا * كانت منازله مع الشهداء
يَرْويه اقوام غدوا في صدقهم * عَلَمًا وناهيكم بهذا الدّاء

وقال الحسن بن هانئ

ولقد كنّا رويْنا * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيّب * انّ سَعْد بن عُبَاده
قال من مَات محبًّا * كان من اهل الشّهاده

وقال ابن رواحة الحموي واحسن ما شاء

لا موا عليك وما دروْا * انّ الهوى سبب السّعاده
ان كان وصل فالمنى * او كان هجر فالشّهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

يا قلب دع عنك الهوى واسترح * ما انت فيه حامدًا أمْرَا
أضَعْتُ دنياي بحرانه * ان قلت وصلا ضاعت الاخرى

وقال آخر

خليلَيّ هل خُبِّرتُما او سَمِعْتُما * بان قتيل الفانيات شهيد
وقلتُ كأني حاضر لخاطبه
نعم قد سمعْنا ان من كتم الهوى * وعفّ الى ان مات فهو شهيد
فخُذْ عن مقال انت فيه مذبذبٌ * فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذي يرويه ركب ذوي الهوى * به كلّ يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم * فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما * تميل بهم سفن الهوى وتميد
اتبكي دُوَيْنَ العام من عام منهم * وقد حدّ حولًا للبكاء لبيد

قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود * النقية النقود * المجبورة الكسور * العالية

القصور * مشتملا كل باب منها على بيت قصيد * ومجد
مديد * يسقى ثمر غروسها * ويروي المجد من نطروسها *
بعينين نخلاوين نور قرقتها * لنوء الثريا لاستهل سحابها
وما بقي الا ذكر مصارع العشاق * ولخبار من اصبح
من المحبين ميتا بالاشواق
ان لم امت في هوى الاحفان والمقل * فواحيائي من العشاق واخجلي
ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا * لاسيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي انا ما متّ بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفر الله وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
وقال بلديننا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله
للعاشقين باحكام الغرام رضى * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا للذي للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما اخبار من قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
راي فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى
وقال جرير
ان العيون التي في طرفها حور * قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله اركانا
وقال آخر
ما زال يهوى المقلا * قلبي الى ان قتلا
الحمد لله الذي * مات وما قيل سلا
وقال آخر
ترى المحبين صرعى في ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا * ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا
وقال محمد الواعظ
دعالومي فلومكما معاد * وقتل العاشقين له معاد

ولوقتل الهوى هل النضابى * لما ماتوا ولوردوا العادوا

* (خاتمة الكتاب) *

فمن ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من صغير وكبير *
وغنى وفقير * على اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم *
ولاجل ذكرهم استست قواعد هذا الكتاب * ودخلت فيه
من باب وخرجت من باب * لا توصل منه الى ذكر من ساقه
الهجى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى
الطاق ومن هنا اشرع فى ذكر مصارعهم * وعرض بضائعهم *
اذ منهم الخاسر والرابح * والصالح والطالح *

* (فمنهم شقى وسعيد) *

* (ومنهم قتيل وشهيد) *

* (فمنهم شقى وسعيد) *

حكى ابو الفرج بن الجوزي قال ذكر لى شيخنا ابو الحسن على بن
عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل
الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر
ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم الق فلانة فى الدنيا
واخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى
صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت
صاحبى فى الدنيا واريد ان القاه فى الاخرى وانا اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم اسمع باعجب
من هذه الحكاية * ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها
الكتاب * وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب * فابتلى
من فراق محبوبته ودينه ببلاءين * ودارت عليه دائرة السوء
فى الدارين * وكيف لا وقد ورد بكساده فى الحب دار البوار *
واصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار *

سارت مشرقة وسرت مغربًا * شتان بين مشرّق ومغرّب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهّاب الازدي يرثي حبيبًا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال

اخي بوداد لا اخي بديانة * ورب اخ في الود مثل نسيب

وقالوا تبكي اليوم من ليس صاحبًا * غداة انه هذا فعل غير لبيب

فقلت لهم هذا او ان تلهّفي * وشدّة اعوالي وفرط نحيبي

ومن اين لي ابكي حبيبًا فقدته * اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسومًا بالجمال الخمّار فعلقه عبد الوهّاب المذكور واشتهر به واقام ببابيته في الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والحدود طول هذه المدّة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره قرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم ان عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدّة شهر فلمّا يئس دعا بالفاصد فاقتصد في احدى يديه ودعا فاصدًا آخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وفجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه فاذ ركوه وقد اشرف على الموت فضالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه ومن شعره فيه

انظر الى الشامة في خدّه من * الحاظه باللحظ جرّاحه

كأنها من حسنها اذ بدت * حبّة مسك فوق تفاحه

* (ومنهم شهيد) *

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن ابي زيد النحوي عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبًا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته في حجرة وعليه زيّ المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدّثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من

بنى تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلامًا مسلمًا فكانت
تجذل اليه الاموال والرّغايب والغلام يأبى عليها فلما اعيتها
الحيلة اعطت رجلا مصوّرا مائة دينار على ان يصوّر لها صورة
الغلام كهيئته ففعل ذلك فمازالت تأتى كلّ يوم الى تلك الصّورة
فتلثم ما تحبّ منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا امست قبلتها
وانصرفت فمازالت على ذلك مدّة فتوفى الغلام فعلمت فلحقها
عليه ولهٌ حتى صارت به مثالا ثم رجعت الى الصّورة فلم تزل
تلثمها وتقبلها وبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا
وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كبت عليه

يا موتُ دونك روحى بعد سيّدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها
سلمتُ روحى للرحمن مسلمة * ومتّ موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث بارئها
مات الحبيب ومات بعده كمدًا * محبّة لم تزل تشقى محبيها

قال — فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها وقتوها
الى جانبه واخذوا مالها فبتّ مغمومًا بما آل اليه امرها فرايتها
فى المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت —

اصبحت فى لجة تماجنه يدي * وبتّ تجارة فرد واحد صمدُ
محا الاله ذنوبى كلها وغدا * قلبى خليًا من الاحزان والكمدِ
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلدِ
اثابنى رحمة منه واسكننى * مع من هويت جنانا آخر الابدِ

فعلمت ان الذى صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت
واسلم من اهل الدّير فكانت رحمها الله السّبب

* (ومنهم شهيد) *

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين
ابو عبد الله مغلطاي اجازة سنة سبع وخمسين وسبع مائة

بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتي الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس بموزونا ولا معنى له ملخصه ان حاكما من حكامهم اخذ ما لا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث انجماعة قتلوا في المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف قتل هؤلاء قال له ما توا في سبيل الله تعالى فقال يا مولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

* (ومنهم شهيد) *

ذكر بن داود في كتاب الزهرة ان فتحا يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف . وصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت فاخذت بعضادتي الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

وزارتني في السباق تعطفت * علي وعندي من تعطفها شغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل
ثم اغمي عليه فمات

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من جواري القينات وواصلته فكان يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزل على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائها

واعرضه عنها فرآها في المنام ليلة وهي تقول له

إنّ تبكي بعد قتلك لي عليّ * فهل الاكان ذا اذ كنت حيّا
كتبت دموع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسئ اليّا
فيا قبر ابرئ جسمي وروحي * واهلكني وما ابقا عليّا
اقل من النياحة والمراثي * فاني لا اراك صنعت شيّا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

* (ومنهم قتيل) *

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني مغلطاي مملوك نايب الكرك الساكن يا لخر نفشن ان اخاه تزوج امرأة اسمها فطلو ملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا واقامت عنده مدة سنين فحنت فيها يوما فلما بلغها ذلك القت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اضبعها بالتشهد واستشهد بصهره علاء الدين اشتاذ دار نايب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحاره شهدها الرجال والنساء وملكوا حينا ياسفون عليها وينكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

* (ومنهم شهيد) *

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجلس ابي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبي يقرأ ولم نعتمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بالبلد فمات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت انزلها فلم يفق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد ايام سألت عنه فعرفت

انه حضر عند جارية في الكرخ تقول في القضيب

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فقام المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد المعدل وهي

بابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وامره من مفردات الاخبار

* (ومنهم قثيلان) *

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكروني له فأحضرني بين يديه فلما رأى قبح صورتي كره النظر الي وامر لي بعشرة الاف درهم فأخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فاكلنا ثم امر بالنبيذ والغناء فاشتد ته ان لا يفعل فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عواده ما سمعت احسن من صوتها ولا احذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري انا خصصت بهذا * دون ذا الخلق اركن الاجناب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

ارحم للعاشقينا * ما اذاري لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو * ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذبون ويظهرون * تجلدا للعاشقينا

فقالت لها القوادة يا فاجره فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها في الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم القت نفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما راى ما صنعت الجارية القى المذبة من يده واتى الى الموضع الذي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء فقال

انت التي عرفتني * كيف القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقاء * والموت ستر العاشقينا

ثم القى نفسه في اثرها فاذا دار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم ير احدهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمر ولتحدثني حديثا تسليني به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضر في حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان راي امير المؤمنين ان يخرج الى جاريته فلانة تغنيه ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه وياتيه براسه ثم اتبع الرسول برسول اخر يامره بان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره بالجلوس بعد ان لم يبق احد من بحاشيته حتى خرج ثم امرها فخرجت وعادها قال لها الفتى غنني

افاطم مهلاً بعض هذا التدلل * وان كنت قد از معت هجري فاجملي
قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال لها غني
تألق البرق نجدي يا فقلت له * يا برق فاني بروحي عنك مستهتر
قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمرني
برطل من شراب فأمر له به فلما شربه اشار اليها بابيات فغنتها
ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه
فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون اكان الاحمق يظن
اني اخرج اليه جاريتي تغنيه واردها الى ملكي يا غلمان خذوا
بيدها واحملوها الى اهله ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا
بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما توسطت الدار ونظرت الى حفرة
في وسط دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من بين ايديهم
وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت
والقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت

(ومنهم قتيل)

حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية
بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك
رايت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك ما لك مت قال
لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرايت اثانا
عند بابه فعشقتها فمت وانشدني

سيدي شمت اثانا * عند باب الاصبهاني
تتمنى يوم رحنا * بثنايا ها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمي وبناني
ولها خد اسيل * مثل خد الشيقراني
فيه ميت ولو عشت * اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيقرانى قال هذا من
نتاج الحمير فاذا القيتم حمارا فسبلوه قلت وذكر جماعة من اهل
التفسير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلى عن ابى عبد الرحمن السلمى
عن ابى منصور وكان له صحبة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح الله
تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبى صلى الله عليه وسلم
فقال النبى ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدى ستين
حمارا كلهم لم يركبهم الا نبى ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام غيرك وانا اتوقعك ان تركبنى وكنت قبلك لرجل من
اليهود فكنت اعثر به عمدا فكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفور تشتهى الاناث قال لا
فكان النبى صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا نزل عنه بعث
به فى حاجته فيأتى باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب
الدار عرفه واتى به النبى صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة
والسلام جاء الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى
الله عليه وسلم فصارت قبره

* (ومنهم قتيل) *

قال محمد بن هارون حدثنى فيما اذكره السراج قال اشتريت زوج
بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب
تحت المكبة حتى كادت ان تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت
فجاءت فلم تزل تضطرب فى دم الذكر حتى ماتت وقال ابو عبد
الله محمد بن محمد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس ليس فى جميع الطير
اوفى من القمرى والقمرية وذلك انه اذا مات احد الزوجين تعزب
الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى
ان يموت

* (ومنهم قتيل) *

ذكر الكيحي في تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم في المحبة في المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

(ومنهم شهيد)

ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من اهل الادب فنزع بنا الحديث الى اخبار العشاق وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولاسيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها احسنتِ يا سيدتي اناذنين لي ان اموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلي بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هي ميتة فاخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها قول ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد

(ومنهم شهيدان)

ذكر الشيزري في روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به

ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فابى
فعرضت عليه التنصر و يتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار
فاخذوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع
بيننا في الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب
قالت فاخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما اردت ادخلها
منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيئا
عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا الى ولك وانا لا ادخله
الا بك والى خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت
وجلست عند قبره ومات في الليلة الخامسة فكان ذلك
سبب اسلامي

* (ومنهم قتيل) *

ذكر ابو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه
الحمام فمرت به امرأة جميلة وهي تقول اين الطريق الى حمام منجاب
فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك اظهرت له السرور
وقالت تشتهي ان تكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا
ليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت
فكثر وهمه بها فكان يمشي في الطريق ويقول

يا رب قايلة يوما وقد جهلت * كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان ها لا جعلت اذ ظفرت بها * حرزا على الدار او قفلا على الباب

فزاد هيمانه * واشتد هيجانه * ولم يزل كذلك بالمصرة حتى
حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب
قايلة يوما البيت حتى مات

* (ومنهم شهيد) *

ذكر ابو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن ابي الفرج الصوفي

وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بابي القاسم الشواء
وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم
مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك
قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان
الصحراء يغني في حقل

ان هواك الذي بقلبي * صيّرني سامعا مطيعا
اخذت قلبي وغمض طرفي * سلبتني العقل والهجوعا
فاردد فوادي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بحاجتيه * وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال الصبي وافبل نحوه كيف
قلت فقال جيد وكان يقال له حميد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة
ايام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يصيح
فوادي فوادي الى ان قضى عليه

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق اسماء بنت عبد الله بن
مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي
فشكا ابوه الى ابيها خالد فامر بحمله الى داره ليزوجها به ولم
يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة
قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده
بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة
ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشقق نسائها عليها صوبي
لمثاله فاني احب ان ازوره قبل موتي ففعلت فلما وصلت
الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب ابو الفتاة
الى ابيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما
بنفسي هما ما متعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر

اقاما على غير الترا ور بُرْهةً * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا بمحبة * ويا زورة جاءت بريب المقادر

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغسانى تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها

الا ليت شعرى عن غزال تركته * اذا ما اتاه مصرعى كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده * لما برحت نصبى عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلى امرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هى من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها الف بعير فلما كانت الليلة التى اهديت اليه فيها قامت على بابا القبة وقالت

يقول رجال زوجوها لعلها * تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التحلس بعدها * رجالهم والصدق افضل قيل

وحدثنى اصحابه ان مالكا * صروم لما ضى الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت

* (ومنهم شهيدان) *

قال احمد بن محمد المعنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءنى نظر فاؤها فقالوا هنا فتيان تحاتا وقد اعتل احدهما فنريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه فجلس اصحابى

حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال اواه
قال الصحيح اواه فاذا قال العليل اواه من فخذي قال الصحيح
اواه من فخذي واذا قال اواه من يدي قال الصحيح اواه من
يدي الى ان قالوا قد قضى رحمه الله فشد ضحاك على حيي العليل
وشددت لحيي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما

* (ومنهم شهيد) *

قال ابو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وابو زبيد
الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يستترون وجوههم
خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء بجمالهم وكان
وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان صغيرين
فاحبها واحتبه وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن
عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج الى
الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم
ولا يجد حيلة حتى راى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها
ويأنس بها الى ان قال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك
لتسأل عن مولاتي فقال انها لابنة عمي وانها لشستر موضعي لو
اخبرتها قالت نعم فاني لخبرها فمضت الجارية فاخبرت ام البنين
فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن مكانك حتى
ياتيك رسولي ثم انها ادخلته في صندوق فمكث عندها
حينا اذا امنت اخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيبا ادخلته
الصندوق واهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه
خذ هذا الجوهر فامض به الى ام البنين قال فدخل الخادم
من غير ان يستاذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر ام البنين
فادى الخادم الرساله وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت
لا ام لك وما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد

فاخبره بما راى ووصف له الصندوق الذى راى وضاحا
دخله فقال له كذبت لا ام لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل
عليها وهى فى ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس
على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا امّ
البنين هبى لى صندوقا من صناديقك قالت يا امير المؤمنين
هى لك وانا لك ايضا فقال اريد هذا الصندوق الذى تحتى
فقط فقالت ان فيه شيأ من امور النساء قال ما اريد غيره فقالت
هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا
حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك
شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا اثرك وان كان
كذبا فما علينا فى دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقى
فى الحفرة وامر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا
التراب قال ابو مسهر فكانت ام البنين لا تزال توجد فى ذلك
المكان تبكى الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة
وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن
عبد الملك وفيه نظر

* (ومنهم شهيد) *

ذكر الشيزرى فى كتاب روضة القلوب انه راى بحلب سنة
خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها
وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة فى وصاله فلم
تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم اراد
تزويجها فانتظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند
القاضى محيى الدين ابى حامد محمد بن محمد الشيزرى فلما بلغ
التركى ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس
فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة ايام

لا ياكل ولا يشرب حتى مات فى تلك الايام

* (ومنهم شهيد) *

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته فى خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشى عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرأه منى السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

* (ومنهم شهيد) *

قال احمد بن ابى الحوارى فيما ذكره الخطيب بينما انا فى بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرايت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هى قالوا قوله تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال احمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يأن للمهجور ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتكلما
وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى * اما آن ان يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا حكى نقش الموشى المتمما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت

* (ومنهم شهداء) *

عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستاذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال فى اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستاذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل يخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم اتيت به السّابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاّه فسلّمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق بعدا مقاما قال الشيخ بين يديّ من ويحك ثم بقي مبهوتا فلما فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانّكم لا تنتفعون به فلمّا كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد فاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانّه مكث ثلاثة ايّام على حاله مبهوتا متحيّرا لا يؤدّي فرضا فلمّا كان بعد ثلاثة ايام عقل

* (ومنهم شهداء) *

ذكر بن ابي الدنيا عن خليد قال كرّرت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فنادي منادٍ كم تردّد هذه الآية فلقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السّماء حتى ماتوا

* (ومنهم شهيد) *

قال محمّد ابو يحيى التميمي كان يختلف معنا شاب من النسّاك يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتن الناس اذا راوه فاكثر النّاس القول فيه وفي صحبته اياه فمنعه اهل صحبته وكلامه فذهل عقل ابي الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لي قل له لا تقربني ولا تأت مجلسي فانّي له كاره فاخبرته بذلك فتنفّس الصّعداء ثمّ انشا يقول

يا من بدائع حسن صورته * تثني اليه اعنّة الحدق
لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطّرق

لكنهم سعدوا بامنهم * وشقيت حين اراك بالغرق
قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

* (ومنهم قتيل) *

ذكر الشيزري رحمه الله في كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدب يقال له الوردي واصله من حمص وكان فاضلا شاطرا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبي من المضي اليه ثم انه ارسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدو له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى حبيبه يستعطفه فاجابه بلفه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة طرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقيأ قيأ اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر ان كبده تفطرت فعالجه فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع

* (ومنهم قتيل) *

قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين واربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيء فصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما ابصرني انشا يقول

الا ما للحبيبة لا تعود * ابخل بالحبيبة ام صدود
مرضت فعادني عوادي قومي * فما لك لم تزرني فيمن يعود

الاخفش

فلو كنت المريض ولا تكونت * لعُدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثمّ اغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحيّ فخرج من آخر الماء جارية كأنّها فِلقة قمر فتخطّت رقاب النّاس حتّى وقعت عليه فقبّلته وانشأت تقول

عدائي ان اعُودك يا حبيبي * معاشر فيهم الواشي الحسُود
اذا عواما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فامّا اذ حللت ببطن ارض * وقصّر النّاس كلهم اللحُود
فلا بقيت لي الدنيا فُواقًا * ولا لهمُ ولا اثر جديد

قال ثمّ شهقت شهقة فخرّت ميّتة فخرج من بعض الاخبية شيخ فوقف عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع بينكما حيّتين لاجمعنّ بينكما ميتتين فدفنهما في قبر واحد

* (ومنهم شهيد) *

قال ذو النّون المصري فيما ذكره عبد الله محمّد بن جعفر القنطري في امالية بينا انا في ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اظمار شعر فاذا هي ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرايتها متصلة الاحزان فلمّا عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثمّ سقطت الى الارض فلمّا افاقت قالت سيّدي لك تقرّب المتقرّبون في الخلوات ولعظمتك سبّحت الحيتان في البحار الزاخرات وبجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات انت الذي سجد لك سواد اللّيل وبياض النّهار في الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك العليّ الغفّار ثمّ انشأت تقول

يا مؤنس الابرار في خلواتهم * يا خير من خصّت به النزّال
من ذاق حبّك لا يزال متيّما * فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت
طرفها نحو السماء وقالت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواكا
واما الذي انت اهل له * فكشفك للحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت اتعجب مما رايت
منها فاذا انا بنسوة قد اقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها
فغيبنها عني فغسلنها ثم اقبلن بها في اكفانها فقلن لي تقدم
فصل عليها فصليت عليها وهي خلفي ثم احتملنها ومضين
(ومنهم شهيد)
عن حماد المراكبي فيما ذكره المعافي في كتاب الانديس قال وصفت
للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث
في شرائها فاتي بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس
درعه خطرت بباله فامر فحملت اليه فلما نظر اليها اعجب بها
واعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم
فقالت قتلتني والله يا سيدي ثم جرت دموعها على خدها
كاللؤلؤ وانشات تقول

ستدعو دعوة المضطر ربا * يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا * ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وانشا متمثلا بقول

فيا حسنها اذ تغسل الدمع كلها * واذ هي تذري الدمع منها الانامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتني * وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا منصور احتفظ بها واكرم محلها واصلح لها كلما
تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجواري الى وقت رجوعي

فلولا

فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتقاعدها ويصلح من حالها ما امره به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها ذلك تنفّست الصّعداء وانشأت وهى تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسًا وواردنا

آتى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم انثنى تارة اخرى فابكانا

انا الى الله فيما لا يزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا

دنيا نزاها تزينا من تصرّفها * مما لا يدوم مصافاة ولحزانا

ونحن فيها كما نالا نزايلها * للعيش لحياؤنا ينكون موتانا

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر ابو الحسن القارى ان على بن صالح ذكر له انّ جارية من جواري القيان عند اهل البصرة كانت تميل اليه وتحبّه وتكلف به وكانت موصوفة بالأدب شاعرة فكره مراسلتها فحضر يومًا عند بعض اهل البصرة وكانت عنده قال فلما طاب عيشنا فى يومنا فلم التفت اليها فاطرقت هى ايضًا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت اهله المجلس والقت المنديل فاخذه فاذا فيه

لعلّ الذى ابلى بحبّك يا فتى * يردّك لى يومًا الى احسن العهد

قال على فما هو الا ان قرأت الشعر حتى وجدت فى قلبى من امرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم ازل اعمل الحيلة فى ابتياعها من حيث لا تشعر فتيسّر ذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدا من حرمى ولا اهلى ولم يبق عندى شئ يعدلها فتوفّيت فانا لا عيش لى ولا سرور بعدها والله مالبثت

بعد هذا الكلام الا ايام يسيرة حتى مات اسقا عليها وكمدًا
فدفن الى جانبها ومما يحسن هنا
قفي لخبرك ما صنع الغرام * عشية قوّضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي صداد * وقد لقي مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور * كواملا يفارقها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه * لنا كاس وريقته مدام
رمي وقلوبنا الاغراض فانظر * بعينك هل يطيش له سهام

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر المرزباني عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف بمرباح قال حدثني بعض اصدقاءي انه دخل بيما رستاناً ببغداد فراى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسًا على حصير نظيف وعن يساره مخدّة وفي يده مروحة والى جانبه كوز فيه ماء فسلمت عليه فردّ احسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسّرها قال تمضي الى منهر الدجاج الى دار احمد الدهقان الى دار علي باب زقاق الغفلة قاطرق وقل ان فلانا قال لي

سر للحبيب وقل له * مجنونكم من اعتله

قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الي عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له * عليلكم من اعتله

فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت

الى

الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت الصراخ فى الدار وقد ماتت الجارية

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر الاصمعى انه رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لأسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيأ من الشعر يكلمك فقلت

سبق القضاء بانني لك عاشق * حتى الممات فاين منك المذهب

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم انشأ يقول

اخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

ابكى فيطربنى البكاء وتارة * يأبى فيأتى من احب اسيرا

فاذا اتى سمح بفرقة بيننا * اعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت له اخبرنى عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملنى والقنى على باب تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت ضعيف

الا ما للمليحة لا تعود * ابخل ذاك منها ام صدود

فلو كنت المريضة كنت اسعى * اليك ولم يثنك نهى الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وستتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ احمد بن محمد بن على الآبنوسى فى اخباره

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فالبث ان مرض عمه

مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم
يخرج الى عمه مسرورا الحان برئ عمه فقال
ابكي من الخوف ان يبري فيجبها * ولست ابكي على عمي من الوجع
لامات عمي ولا عوفي من الوجع * وعاش ما عاش بين اليأس والطمع
فخطبت الجارية فزوجها ابوها فجاء الى الفتى فودعه وقال هذا
وداع لا انتلاقي بعده ابدا فما شدته فاذا الجزع قد حال دون
فهمه فقلت واين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ونهض
وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه
ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه

* (ومنهم قتيلان) *

ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسي كان جالسا مع
ندمائه وقد اخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من
وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع * اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا * منك على رأسي فما اصنع

قال وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع
القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى
الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها
على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك
شهرا

* (ومنهم شهيد) *

قال محمد بن بشر الانصاري ولّيت صدقات بني عذره فبينما
انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه
واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت
مابك فقال

كان قطاة علقت بجناحها * على كبدي من شدة الخفقان

جعلت لعرّاف اليمامة حكمة * وعرّاف نجدان هما شفياني
قال ثم تنفّس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت
فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري

* (ومنهم شهيد) *

يروى ان الحكم بن عمر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى
تغرّبت لا ورَبّ لا ترى * بشام الحِمَى اخرى الليالي الغوابر
كان فؤادي من تذكره الحِمَى * واهل الحِمَى بهفو به ريش طائر
فوقف وقال علي بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال انا رجل
من اهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك في الحِمَى فقال ما لي
الى ذلك سبيل ولي بتلك البلاد اهل وولد قال فيّ احملك الى اهلك
وولدك فقال لا حاجة لي في هذا قال ليس من ذلك بدّ وامر به ان
يحمل فاضطرب في ايديهم حتى مات

* (ومنهم شهيد) *

عن الاصمعي قال خرجت اريد بعض احياء العرب فأدركني الليل
فأويت الى حبّانة فتوسّدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول
من القبر

انعم الله بالحِبَا بين قبرا * وبسراك يا سُعاد اليتا
وحشة ما لقيت من خلل القبر عسى ان نراك او ان تزيا
قال فأرقت ليلتي فلمّا اصبحت دخلت الحيّ واذا
بجنازة قد اقبلت فسألت عنها فقيل هذه سُعاد كانت مخبا بن
عمّ لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية بعد ان مات وها هي
قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذي بت
عنده واذا هو قبر ابن عمّها فاخبرتهم بما سمعت فتعجّبوا من ذلك

* (ومنهم شهيد) *

حكى الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بنى نهشل فخرجت
فى طلبه اريد اليمامة فلما صرت على ماء لبنى حنيفة ارتفعت
سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسالتهم القرى فاجابوا
فانخت ناقتى تحت بيت لهم من جريد النخل وفى البيت جويرية سوداء
فخرجت جارية كانها قمر فسالت الجارية السوداء لمن هذه الناقة
فاشارت الىّ وقالت لضيفكم فعدلت الىّ وسلمت وقالت ممّن
الرجل قلت من بنى نهشل قالت فانتم الذين يقول فيكم الفرزدق
ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول
قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول
اخرى الذى سمك السما مجاشعًا * واحل بيتك بالحضيض الاوهد
قال فاعجبتنى فلما رات ذلك فى وجهى قالت اين تريد قلت اليمامة
فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها اهل المروءة والكرامه
الا فسقى الاله سحاب غيث * يجود بسحّه بلد اليمامه
وحيّا بالسلام ابا نجيد * واهلا للتحيّة والسلامه

قال فاستبشرت بها وقلت اذا تخدرا مرذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرًا * لكالقمر المنير المستنير
ومالى فى التبعّل من مراد * ولو ردّ التبعّل لى اسيرى

ثم سكتت كانها تسمع كلامًا ثم انشات تقول

يخيّل لى ابا عمرو بن كعب * كانك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا يا عمرو فانى * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فصار خ النساء وسالت عنها
فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسالت
عن عمرو فقيل لى ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة

فسالت

فسألت عن عمر وفاذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم
قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية اعجب من جميع
ما تقدّم فان كلاّ من اولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس
من محبوبه اما بمعاينة موته او اخباره بذلك لان من الحكماء
من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق اليأس يغمزان
القلب وهلة واحدة فتحتقن عنه مادّة النفس فيضعف
القلب عن دفع ما دهمه فيفيض الدم وتذهب الروح واما
هذه فلطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب
البعد ولم يبق لنفسها مادة الا مما يزدعليها من ذلك الاين
فكان بمنزلة المصباح الذى للبصير فلما ذهب عن القلب
احسن بفقده كما يحس البصير بذهاب نور المصباح اذا طفئ

* (ومنهم شهيد) *

قال في منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من اخبار
المتاخّرين في تخليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف
ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم
النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه ولحفى
ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فمه بل صدره
ومات على كتمانه . ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا خيالك في الجفون يلوح * لو كان في الجسم المعذّب روح
يا سالما ممن اكابد في الهوى * هل يشتفي من قلبي التبريح
غادرتني غرض الردى وتركتني * لا عضو لي الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك في دمي * لو بلغت حيث مي الردى فتريح
لو عاينت عيناك قدفي من دمي * كبدي ودمعي مع دمي مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا * ولخلت اني من فمي مذبوح
قل للذي علقت منه منيّتي * أأباح قتلي يا ظلوم مبيح

كبدي على صدري جرت واليمتي * اغدو أعذب في الهوى واروح

* (وفيهم شهيد) *

قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به ان كان مغرما بجارية له تسمى غادرا وكانت احسن الناس واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له مابال امير المؤمنين فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هارون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هارون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي بكل يمين احلفك به انني اذا مت لا تتزوج غادرا فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هارون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التي حلفنا بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها احسن من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينا ما هي في بعض الليالي في حجره اذ انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك فديتك روحي فقالت رأيت لخالك الهادي في المنام وانشدني

اخلفت وعدي بعدها * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكثت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الحديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحفتني قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثمّ ولى عنّى وكانّ الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها
كلمة فقال هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير
المؤمنين ثمّ انّها اضطربت بين يديّ حتى ماتت فى تلك السّاعة
فلا تسئل عن حالها رون وما لقى بعدها

* (ومنهم قتيل) *

اخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين ابو عبد الله
مغلطاي بسنده عن ابى عبد الله محمّد بن الحسن المذحجى
الطبيب الاديب قال كنت اختلف فى النحو الى محمّد بن
الخطّاب فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد
الاسلمى قاضى قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون
واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم
وفارق صبره وصرّف فيه القول بتسليك الى ان فشت اشعاره
وجرت على الالسنة ونوشدت فى المحافل فلمهد بعرس
فى بعض شوارع قرطبه والزّامر يغنّى يقول احمد بن كليب

ايسلمنى فى هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزّل له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بينا حاسد * سيسأل عما وشى
ولو شاء ان يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومغنّ محسن يساتره فيها قال فلمّا بلغ اسلم هذا المبلغ
انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على
بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائر
ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره
نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا
وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل فى بعض الليالى
ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتمّ بمثل عمائهم

واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى ففصدا فيه بنيض
وبحين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم
اليه وقبل يده وقال يا مولاى تأمر من يقبض هذا فقال له
اسلم ومن انت فقال اجيرك فى الضيعة الفلانية فامر
اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد
قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم
منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة
فلما جاوبه انكر الغلام فقاتله فعرفه
فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى ههنا تتبعنى اما كفاك
انقطاعى عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على
بابى نهارا حتى انقطعت عن جميع مالى فيه راحة وقد صرت
كأنى فى سجن والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلى
ولا جلست بعدها على بابى ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف
احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا
فقلنا لا احمد وخسرت دجاجك وفصدك قال هات كل
ليلة قبلة فى يده واخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من
رؤيته البتة تهكمته العلة واضجعه المرض قال محمد بن
الحسين فاخبرنى شيخنا ابو عبد الله محمد بن خطاب انه
عاده قال فوجدته باسوء حال فقلت له الا نتداوى فقال
دوائى معروف واما الاطباء فالاحيلة لهم فى البتة فقلت له
ما دواءك قال نظرة من اسلم فلو سعيت فى ان يزورنى
لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله يؤجر قال فرحمته
ونقطعت نفسى له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه
فاذن لى وتلقانى بما احب فقلت له لى اليك حاجة فقال وما
هى قلت قد علمت ما جمعك مع احمد بن كليب من زمام

الطلب عندي فقال نعم ولكن قد علمت انه برّح بي وشهر سيفي
فآذاني فقلت كل هذا معتفر في مثل هذه الحالة التي هو فيها
فتعوده فقال لي والله ما اقدر على ذلك فلا تكلفني هذا
فقلت له لابد من ذلك فليس عليك في ذلك شيء وانما هي
عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن
فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال
نعم قال فانصرفت الى احمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد
امتناعه فسُرّ بذلك سُرورا شديدا فلمّا كان من الغد
بكرّت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني
على خطة صعبة عليّ وما ادري كيف اطيق ذلك قال
فقلت له لابد أن توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض
معي راجلا فلمّا اتينا منزل احمد وكان يسكن في آخر درب
طويل وتوسّطت الزقاق فوقف واحمرّ وخجل وقال لي يا سيّدي
المساعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمي ولا استطيع
اعرض هذا على لساني قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت
المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا
فاتبعته فاخذت برداءه فمادى وخرق الرداء وبقيت
منه قطعة في يدي لشدّة امساكي به ومضى ولم ادركه
فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وقد كان غلامه
دخل اليه اذ رآنا من اوّل الزقاق مبشّرا قال فلمّا رآني
تغيّر وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصّة فاستطال
من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يُعقل منه اكثر
من التوجّع فاستشفت الحال وجعلت اتوجّع معه قال
فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع
مني واحفظ عليّ ثم انشأ يقول

اسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان قال فرحت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عند محمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بنى خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكانا شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعد الخولانى الكاتب قال فعرفها وقال لقد اخبرنى ثقة انه راى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشى فى طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له قد وتخيّن غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحى

* (ومنهم قتيل) *

حدّث الخالدى فى كتاب الزيارات باسناد عن ابى بكر احمد بن محمد الصنوبرى قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل اديب وقد كان احسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوّج الشامى الشاعر وعنرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدّا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبّه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرّحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابرى عظامي موضع القلم
وصيّر اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السّقم
ترى العوالم لا تدرى بمن كلفني * وانت اشهر للصّبيان من علم
ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرهاد فلمّا كبر وشارف الاحتلام
احبّ الرهبنة وخاطب اباه وامّه في ذلك وألح عليهما حتى اجاباه
وخرجا به الى دير زنكى بنواحى الرقة وهو في نهاية حسنه فابتناعا
له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام
فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكّانه وهجر اخوانه
ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار
فانكرت الرهبان لمام سعيد به ونهوه عنه وحرّموا عليه ان
يدخله قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان ادخله اليه فاجابهم
الى ما سألوه فلمّا رأى سعيد امتناعه منه شقّ عليه وخضع
للرهبان ورقّ لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا في هذا اثم وعار
ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير اغلقوا الباب في وجهه
ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلّمه فاشتد
وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف
الى داره فضرم جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان
يهيم ويعمل الاشعار فقال ابو بكر الصنوبرى لمّا عبرت انا والمعوّج
الشامي بيستان بتنافيه فرأيناه جالسا في ظل الدير وهو
عريان وتغيّرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفنا ٥
فقال دعاني من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر الذي على هيكل
الدير واومأ بيده الى طائر هناك فقلنا نعم فقال وحقكما يا اخواني
انا اناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى
ثم التفت الىّ وقال يا صنوبرى معك الواحك قلت نعم قال اكتب
بدينك يا حمامة دير زنكى * وبالانجيل عندك والصليب

قفي وتحملي مني سلاما * الى قمر على غصن رطيب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوي احر من اللهيب
فضله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
واذا انامت فاكتب حول قبري * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام نغدو الى باب الدير وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه ومازال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان امير البلد العباس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وبأهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان وقال لهم ابن كيغلغ لا بد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالمسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدي النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الورّاق ورشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه

* (ومنهم شهيد) *

قال ياقوت في تاريخه كان مدرك بن علي الشيباني شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويباشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من اولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى وكان من احسن الناس صورة واكملهم خلقا وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لا غير فان حضر شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكنت مدرك

رقعة وطرحها فى حجر فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التى * بك ثم حسن جموعها
الا رثيت لقلة * غرقت بفيض دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من كان فى المجلس وقراوها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الزوزوم وجعل يتبع عمرًا حيث شاء وقال فيه شعرًا كثيرًا قال الحريرى وقد رأيت عمرًا ابيض الراس واللحية ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهوره وهى

من عاشق نأى هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران * موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه * يشكو الهوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشتقاه * كأنما عافاه من اضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما الجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكى * بادمع مثل نظام السلك
تطفئها نار الهوى وتذكى * كأنها قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى * عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب له اسارى
ريم بدار الزوزو رام قتلى * بمقلة كحلاء لا من بكحل
وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
ريم بدا لى هز بر لو يصيد * يقتل بالحظ ولا يخشى القود
متى يقل هاقالت الالحاظ قد * كأنها ناسوته حين اتحد
ما ابصر الناس جميعا بدرا * ولا راوا شمسا وغصنا نضرا

احسن من عمرو وذيت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بقدّه مقدود * والدمع في خدّي له اخدود
ما ضرّ من فقدني به موجود * لو لم يقبح فعله الصّدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقضه الأيّام
واختلت الصّلاة والصّيام * وجاز في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا * اكون منه ابدًا قريبا
انصر حسنا واشم طيبا * لا واشيًا اخشى ولا رقيبا
يا ليتني كنت له قربانا * الثم منه الشعر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا * كيما يريح الطاعة لي ايمانا
يا ليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم احرفا
او قلما يكتب بي ما الفا * من ادب مستحسن قد صنّفا
يا ليتني كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده * او بيعة في داره مشهوره
يا ليتني كنت له زنّارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
واكبدي من خدّه المضرّج * واكبدي من ثغره المفلّج
لا شيء مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتخرّج
اليك اشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس
جُد لي كما جدت بحسن الودّ * وارع كما ارعى قديم العهد
ولا تصدّ كصدّي عن طويل الصدّ * فليس وجد منك مثل وجدي
ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق
محترقا ما مسّني حريق * يرثي لي العدوّ والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم ومن ضنى طويل
او هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى شمس بدر وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ اسعدته لقد سعد
يا عمرونا شدتك بالمسيح * الا استمعت القول من فصيح
ببيح عن قلب له جريح * ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت * عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قتوم الاقدام * يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قصا * تؤيا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبري الكمها والبرصا
بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شاهق الصومع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بؤسا
وفزعوا في البيعة الناقوسا * مستعملين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد انسنتي وعيد الفطر
وبالشمانين العظام القدر * وعيد مرمار ي العظيم الذكر
بحق شعياء وبالهيا كل * والدخن اللاتي بكف الحامل

يشفى بها من كل خبل خابل * ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادى
بحق اثنى عشر من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجا جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل * من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبإ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقاذى الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الرائح * والشهداء الفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح * وعابد باد ومن سياح
بحق تقريبك فى الاعياد * وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للاكباد * بما بعينيك من السواد
بحق ما قدس سعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه * عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم * وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم * موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
بكل ناموس له مقدم * يعلم الناس ولما يعلم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وما حوى مفرق رأس مزرم
بحق يوم الذبح فى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق * بالفصح يا مهد بالاخلاق

الا رغبت فى رضى اديب * باعدة الحبّ عن الحبيب
قد ذاب من شوقٍ الى المذيب * اعلى مناه ايسر القريب
فانظر اميرى فى صلاح امرى * محتسبًا فى عظيم الاجر
مكتسبًا فى جميل الشكر * فى نثر الفاظ ونظم درّ
*(قيل ثم ان مدركًا وسوس وسل جسمه وذهب
عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن
عيسى فحضرته عايدا مع جماعة من اصحابه فقال لست
صاحبكم القديم العشرة لكم فامنكم احد يسعدنى بنظرة
الى وجه عمرو وقال فضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان
كان قتل هذا الرجل دينا فان لجباه مروءة قال وما فعل قلنا قد
صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض
معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده وقال
كيف تجدك ياسيدي فنظر اليه ثم اغمى عليه ثم افاق
وهو يقول

انا فى عافية * الا من الشوق اليكا
ايها العايد ما بى * منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسما وعدقل * با رهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمى مقلتيكا

ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه
رحمه الله تعالى

* (ومنهم قتيل) *

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزى فى كتاب
روضة القلوب ونزهة المحبّ والمحبوب وشاهدت امرأة كانت
من اهل شيرز تزوّجت رجلا جنديًا اعجميًا وكانت تجد به
وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مشى

الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ما تجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت انذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك غضبه لاجلها فرجعت وجعلت فى رقبتها حبلا وشدته فى السقف فاختنقت به وماتت

* (ومنهم شهيد) *

قال الودأعى حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلى ان شرف العلى هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد فى نواحى حلب قيل له ان شرف العلى فى هذه الارض فارسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان فى مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا واسق شرف العلى به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد فى الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملى * فالله يجمع شملك
بحق رأسيك دعنى * حتى اقبل نعلك

* (ومنهم قتيل) *

وهو ممن رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان

كان بحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعزاه ليضربه بالسياط
فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لا تضربه فانه ما قتله
وانما قتلته انا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل
واطلق الشاب وكان ابتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه
القصة واطلع على باطنها توقف فى قتله وامر بحبسه فلم تمض الا ايام
قلائل حتى حضر ادعون الكاملى من حلب عوضا عن ابتمش فى نيابته
بدمشق فكان اول شى حكم فيه من الدماء شنق ذلك العاشق المسكين
بمقتضى المحضر المكتوب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق
والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها
وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها
واخبرنى عن القاضى زين الدين بن المسقاح واخيه القاضى شمس الدين
وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين
محمد بن بكتوب احد كتاب المنشوب المعروف بالقلندرى انه كان
يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه فى كيس حرير اطلس معلق
فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه
اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم
يتفق له بكاء شديد انشد

لامتعت عين محب بما * يسرها ان هى لم تسجم

ثم انه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى
ما اخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم
حكاية غريبة وهى ما حكاه المستردعن النميرى ان رجلا قدم على الملك كسرى
انوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من
كمال اخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة
الوجد وطول الكمد بالف فارقه فى بلده فطلبه كسرى بالاذن وحمله
على التشويف فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده

وبعث اليه جبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت
للكسرى فاذا هي كلام موزون بالمويسيقى يشاكل من الشعر العربي

لا متّعت عينُ محبٍّ بما * يسرّها ان هي لم تسجم
على حبيبٍ تلفت نفسُه * من التباريح ولم يصرم

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفًا وجزعًا فاسعدته عينه اليسرى
ولم تسعده اليمنى فاقسم ان لا ينظر بها ما عاش في الدنيا
ان لم تسعده بالبكاء على حبيبه وهي اقوى حاسة من اليسرى
فكان يسمى الصابر قلت ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين
القلندري المتقدم ذكره كان يصنع المحبرة في يده الشمال والمجلد
من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله الارض
ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن واخبرني بعض
من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابًا
من اولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به عقيبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها * ورمت تخليصها منه فلم أطق
إدراك بقية نفسٍ فيك قد تلفت * قبل الممات فهل آخر الرمق
قلت ولكن هذا ما وقع عليه الاختيار * وطابت به
لابن ابي حجلة حين سقط بمصر او نطار * وكيف لا وقد
سقطت منه على الخبير * وابيت من اخبار من غفر الله لنا ولهم
بالجم الغفير * فشهداؤه من اعيان المشاهد * وقتلاه وان
اختلفت اسباب موتهم فداؤهم واحد * ففي ذلك والحمد لله
كفاية * وان كان التقصير قصرًا غير مقصود عن الغاية
* على ان في رحلتي نشر العلمين * في زيارة الحرمين *
ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمة * والامواج العظيمة لهذه
الابحر المتلاطمة * لا جرم اني لو اذكر من اخبار اهل الحجاز

الا مما اشار اليه هذا الكتاب بنادٍ بيانه * وبدا من ورقه وقلمه
على صفحاتٍ وجهه وفلتاتٍ لسانه * فكم في الرحلة المذكوره
* في ذكر من مات على هذه الصوره * من اخبار متيم امتنع
من هجوعه * واضجع غريقًا بسحاب دموعه *

لذى سمرات الحي برق يشامره * يذكره بالثغر ما هو ذاكره
يذكره عهد العذيب وما حوى * على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليماني لعينه * فما هو الا وشيه وحبائره
سقى الشخص من ذيل الغمام تعارضه * تعارضه من دمع عيني مواطره
فكم فيه من صبٍ قضى وغرامه * اوائله لا تنقضي واواخره
تطاول ليلي في هواه وليتنا * لقصره من محبته مقاصره
فيا لهوى العذري كم العذر عندما * نغادر يومي مثل ليلى غدائره
صحا ما صحا من زال في الحب عقله * بسكرة حبٍ لا تزال تخامره
ابرد دما الفاه يا جارتي وقد * سباني ظبي فاتن الطرف فاتره
احاول منه وصله كل ساعةٍ * فتمنعني استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى * بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين بخل جواده * فيخمر في قلب المتيم حافره
فلولاه ما امضى امير ذوى الهوى * ولا نفذت في العاشقين اوامره
ولولا سطا السلطان في مصر ما مشى * مع الذئب ظبي حيث قل يحاذره
هو الناصر المنصور العادل الذي * بباطنه ما جار في الملك ظاهره
له في سبيل الله خير ذخيرةٍ * وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودر يافه في الثغر عقر بنبله * وسمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله * فكم امنت في قصرها من يجاوره
جواد غدت نعماه منا قريبة * وان بعدت في الشوق عنا ضمائره
فما عابه ان الجود جنابة * وما ضره ان البر في ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم * واشهب كالبازي ينقض كاسره

فلا جابر يوما لما هو كاسر * ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا * تناهى به فوق السرور سرائره
وتستقبل الاعمال كعبة جوده * كما استقبل البيت العظم زائره
فاى نوال ما اضاعت شموسه * وما هي ان حققت الا دنانره
هو البحر الا ان منهل جوده * موارده راقت برو مصادره
ولو لم يكن بحرى ونظمى درة * لما عرضت يوما عليه جواهره
احود فيه المدح كل عشية * واذكار فكرى بالثناء شاكره
اذا تاه مدحى في دجى ليل نفسه * عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعر العبور فاومأت * الى وقالت انت والله شاعره
فمدحى له مدح المحب حبيبه * اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبى له ما ان يقاس بغيره * لانى قيس الحب فيه وعامره
وقد مات قلبى اول الحب وانقضى * ولو مت امسى الحب قد مات آخره

تم طبع هذا الكتاب المستطاب * بعون الملك الوهاب
* في المطبعة التي بخط الاستاذ الشعراني رضي الله عنه
وذلك في اوائل شهر ذي القعدة من شهور سنة ١٣٠٩
وقد اعتنى بتصحيحه جماعة من الادباء
والحمد لله اولا وآخرا باطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الامي وعلى آله
وصحبه وسلم *
آمين